سلسلة مؤلفات
فضيلة الشيخ
٥٣

شرح رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

تحريم العدوان على الجار

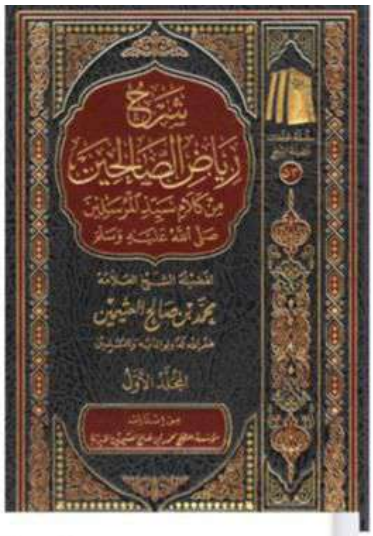

٣٩٩ /٢

وأمَّا أحاديثُ أبي هُرَيرَةَ، ففيها أنَّ النَّبيَّ ﷺ أقسَمَ ثَلاثَ مرَّاتٍ، فقال: «**واللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ!**» قالوا: مَن يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**الَّذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!**» يَعْني: غَدرَهُ وخِيانَتَهُ وظُلمَهُ وعُدْوانَهُ، فالذي لا يَأمَنُ جارُهُ مِن ذلك ليس بمُؤمِنٍ، وإذا كان يَفعَلُ ذلك ويُوقِعُهُ فِعْلًا فهو أشَدُّ.

وفي هذا دَليلٌ على تَحْريمِ العُدْوانِ على الجارِ؛ سواءً كان ذلك بالقَولِ أو بالفِعلِ، أمَّا بالقَولِ فأنْ يَسمَعَ منه ما يُزعِجُهُ ويُقلِقُهُ، كالذين يَفتَحون الراديو أو التِّلفِزْيونَ أو غَيرَهما ممَّا يُسمَعُ فيُزعِجُ الجِيرانَ؛ فإنَّ هذا لا يَحِلُّ له، حتى لو فَتَحَهُ على كِتابِ اللهِ، وهو ممَّا يُزعِجُ الجِيرانَ بصَوتِهِ؛ فإنَّه مُعْتَدٍ عليهم، ولا يَحِلُّ له أنْ يَفعَلَ ذلك.

وأمَّا بالفِعلِ فيَكونُ بإلْقاءِ الكُناسةِ حَولَ بابِهِ، والتَّضْييقِ عليه

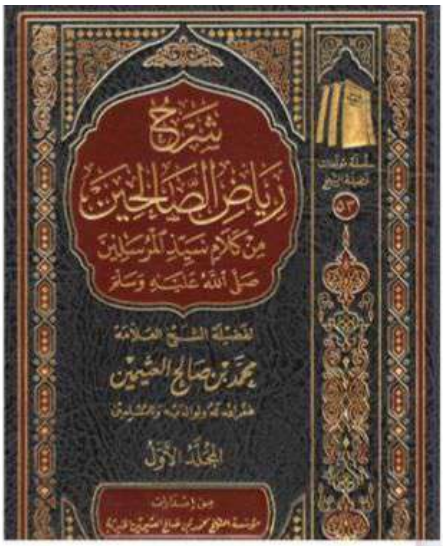

فضل برّ الوالدين

٢/ ٤٠٤

ثم ذكَرَ حَديثَ ابنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال حين سَأَلَهُ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ: «**أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبيلِ الله»**.

فجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ مَرتَبةَ البِرِّ بالوالِدَينِ مُقدَّمةً على مَرتَبةِ الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، قال: ولو استَزَدتُهُ لَزادَني، وفي هذا دَليلٌ على فَضْلِ بِرِّ الوالِدَينِ.

فإنْ قال قائِلٌ: ما هو البِرُّ؟ **قُلْنا**: هو الإحسانُ إليهما؛ بالقَولِ والفِعلِ والمالِ بقَدرِ المُستطاعِ، اتَّقُوا اللهَ ما استَطَعتُمْ، وضِدُّ ذلك العُقوقُ.

ثُمَّ ذكَرَ الحَديثَ الثَّانيَ وهو قَولُ الرَّسولِ ﷺ: «**لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إلَّا أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**» يَعْني يُعتِقُهُ بشِرائِهِ؛ لأنَّه فكَّ أباهُ من رِقِّ العُبوديَّةِ للإنسانِ، وهذا الحَديثُ لا يدُلُّ على أنَّ مَن مَلَكَ أباهُ لا يُعتَقُ عليه؛ بل نقولُ: إنَّ مَعْناهُ إلَّا أنْ يَشتَرِيَهُ فَيُعتِقَهُ، أي: فيُعتِقَهُ بشِرائِهِ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا مَلَكَ أباهُ عَتَقَ عليه بمُجرَّدِ المِلْكِ، ولا يُحتاجُ إلى أنْ يقولَ: أعتَقتُك، وكذلك إذا مَلَكَ أُمَّهُ تُعتَقُ بمُجرَّدِ المِلْكِ، ولا يُحتاجُ إلى أنْ يقولَ: عَتَقتُها.

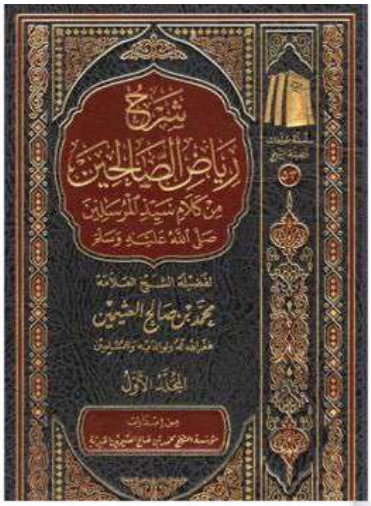

قال أهل العلم: الجيران ثلاثة

٢/ ٣٩٨

ثُمَّ ذكَرَ المُؤلِّفُ رحِمَهُ اللهُ تَعالى آيةَ سُورةِ النِّساءِ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦].

الجارِ ذي القربى: يَعْني الجارَ القَريبَ.

والجَارِ الجُنُبِ: يَعْني الجارَ البَعيدَ الأجْنبيَّ منك.

قال أهْلُ العِلمِ: والجيرانُ ثَلاثةٌ:

١- جارٌ قَريبٌ مُسلِمٌ؛ فله حقُّ الجِوارِ، والقَرابةِ، والإسلامِ.

٢- وجارٌ مُسلِمٌ غَريبٌ قَريبٌ؛ فله حقُّ الجِوارِ، والإسلامِ.

٣- وجارٌ كافِرٌ؛ فله حَقُّ الجِوارِ، وإنْ كان قريبًا فله حقُّ القَرابةِ أيضًا.

فهؤلاءِ الجيرانُ لهم حُقوقٌ: حُقوقٌ واجِبةٌ، وحُقوقٌ يَجِبُ تَركُها.

فضيلة صلة الرحم

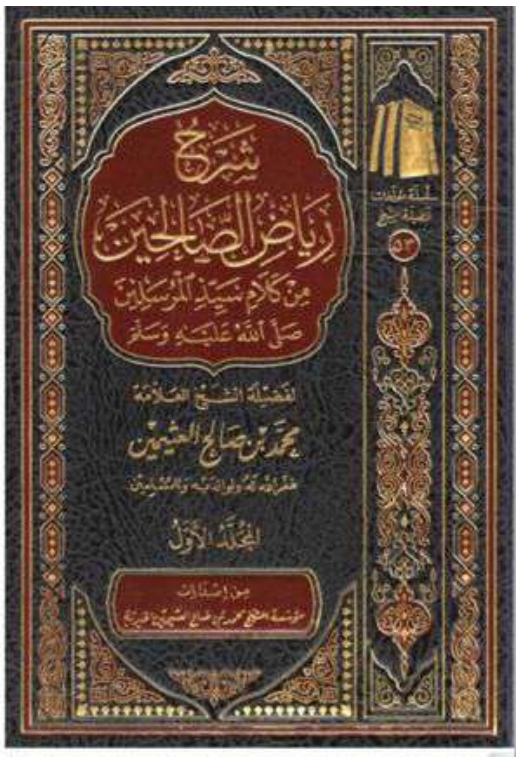

٢/ ٤١١

٣٢٢- وعنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رَواهُ البُخاريُّ[٢].

وَ«قَطَعَتْ» بِفَتحِ القَافِ وَالطَّاءِ. وَ«رَحِمُهُ» مَرْفُوعٌ.

٣٢٣- وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

هذه الأحاديثُ في بَيانِ فَضيلةِ صِلةِ الرَّحِمِ، وأنَّ الإنسانَ الواصِلَ ليس المُكافِئَ الذي إذا وَصَلَهُ أقارِبُهُ وَصَلَهم، ولكِنَّ الواصِلَ هو الذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها،

فتكونُ صِلَتُهُ لله لا مُكافَأةً لِعِبادِ الله، ولا من أجْلِ أنْ يَنالَ بذلك مَدْحًا عِندَ النَّاسِ، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَيْسَ الواصِلُ بالمُكَافِئِ» يَعْني بالذي إذا وَصَلَهُ أقارِبُهُ وَصَلَهُم مُكافأةً لهم، وإنَّما الواصِلُ الذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها.

وكذلك أيضًا في هذه الأحاديثِ أنَّ الرَّحِمَ مُتعلِّقةٌ بالعَرشِ، تَقولُ: «مَن وَصَلَني؛ وَصَلَهُ اللهُ، ومَنْ قَطَعَني؛ قَطَعَهُ اللهُ»، وهذا يَحتمِلُ أنْ يَكونَ خَبَرًا، وأنْ يَكونَ دُعاءً، يَعْني يَحتمِلُ أنَّ الرَّحِمَ تُخبِرُ بهذا أو تَدْعو اللهَ عَزَّوَجَلَّ به، وعلى كُلِّ حالٍ فهو دَليلٌ على عِظَمِ شَأنِ الرَّحِمِ وصِلَتِها، وأنَّها تَحتَ العَرشِ تَدْعو بهذا الدُّعاءِ، أو تُخبِرُ بهذا الخَبَرِ.

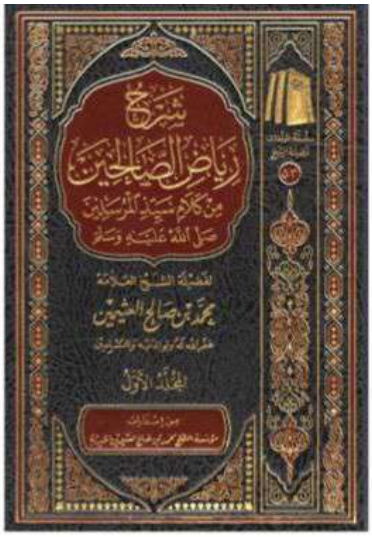

الإحسان للوالدين عند الكِبَر

٢/ ٤٢٧

فأمَرَ اللهُ بالإحسانِ إلى الوالِدَينِ، وقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ إنْ بَلَغا عِندَك الكِبَرَ أحَدُهما أو كِلاهُما؛ إمَّا الأُمُّ أو الأبُ، أو الأُمُّ والأبُ جَميعًا فضَجِرْتَ مِنْهُم؛ لأنَّ الإنسانَ إذا كَبِرَ قد يَصِلُ إلى الهَرَمِ وأرذَلِ العُمُرِ فيُتعِبُ، فقال حتَّى في هذه الحالِ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تَقُلْ: إنِّي مُتضجِّرٌ منكما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: عِندَ القَولِ، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ يَعْني: طيِّبًا حَسَنًا يُدخِلُ السُّرورَ عليهما، ويُزيلُ عنهما الكآبةَ والحُزنَ، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ يَعْني: ذُلَّ لهما مهما بَلَغتَ من عُلُوِّ المنزلةِ، كما تَعْلو الطُّيورُ، فاخْفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ، وتَذلَّلَ لهما رَحْمةً بهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ فارْحَمْهما أنتَ، وادْعُ اللهَ أنْ يَرحَمَهما.

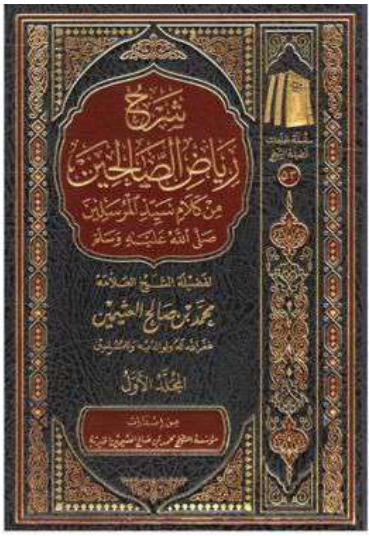

مجالسة أهل الخير والصلاح ومحبتهم

٢/ ٤٦٠

ذكَرَ المُؤلِّفُ رحِمَهُ اللهُ تَعالى بابَ زِيارةِ أهْلِ الخَيرِ ومَحبَّتِهم وصُحبتِهم وطَلَبِ الزِّيارةِ منهم.

أهْلُ الخَيرِ أهْلُ العِلمِ والإيمانِ والصَّلاحِ، ومَحبَّتُهم واجِبةٌ؛ لأنَّ أوثَقَ عُرَى الإيمانِ: الحُبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ، فإذا كانُ الإنسانُ مَحبَّتُهُ تابِعةٌ لِمَحبَّةِ اللهِ، وبُغضُهُ تابِعًا لِبُغضِ اللهِ؛ فهذا هو الذي يَنالُ وِلايةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وأهْلُ الخَيرِ إذا جالَسْتَهم فأنتَ على خَيرٍ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ مَثَّلَ الجَليسَ الصَّالِحَ بحامِلِ المِسْكِ؛ إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ يَعْني: يُعْطِيَكَ، وإمَّا أنْ يَبيعَكَ، يَعْني: يَبيعَ عليك، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رائِحةً طيِّبةً[1].

وكذلك يَنبَغي أنْ تَطلُبَ منهم أنْ يَزوروك، ويَأْتوا إليكَ لِمَا في مَجيئِهم إليكَ من الخَيرِ.

فضيلة التقرّب لله تعالى بالنوافل

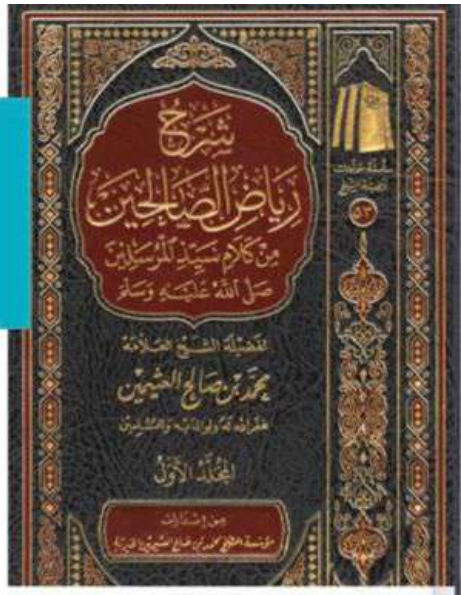

٢/ ٤٩٠

«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيهِ، وَلَا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ مِن أسبابِ مَحَبَّةِ اللهِ أنْ تُكثِرَ من النَّوافِلِ ومِنَ التَّطوُّعِ؛ نَوافِلِ الصَّلاةِ، نَوافِلِ الصَّدَقةِ، نَوافِلِ الصَّومِ، نَوافِلِ الحَجِّ، وغَيرِ ذَلِكَ من النَّوافِلِ.

فلا يَزالُ العَبدُ يَتقرَّبُ إلى اللهِ بالنَّوافِلِ حتى يُحِبَّهُ اللهُ، فإذا أَحَبَّهُ اللهُ كان سَمعَهُ الذي يَسمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، ولَئِنْ سَأَلَهُ لَيُعطِيَنَّهُ، ولَئِنِ استَعاذَهُ لَيُعيذَنَّهُ.

«كُنْتُ سَمْعَهُ» يَعْني: أنَّني أُسَدِّدُهُ في سَمعِهِ، فلا يَسمَعُ إلَّا ما يُرْضِي اللهَ، «وَبَصَرَهُ» أُسَدِّدُهُ في بَصَرِهِ، فلا يُبصِرُ إلَّا ما يُحِبُّ اللهُ. «ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا» فلا يَعمَلُ بيَدِهِ إلَّا ما يُرْضِي اللهَ، «وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِهَا» فلا يَمْشِي بِرِجْلِهِ إلَّا لِمَا يُرْضِي اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فيَكونُ مُسدَّدًا في أقْوالِهِ وفي أفْعالِهِ.

«وَلَئِنْ سَأَلَني لَأُعْطِيَنَّهُ» هذه من ثَمَراتِ النَّوافِلِ ومَحَبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ أنَّه إذا سَأَلَ اللهَ أعْطاهُ، «وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي» يَعْني: استَجارَ بي ممَّا يَخافُ من شَرِّهِ «لَأُعِيذَنَّهُ» فهذه من عَلامةِ مَحَبَّةِ اللهِ؛ أنْ يُسَدِّدَ الإنسانُ في أقْوالِهِ وأفْعالِهِ، فإذا سُدِّدَ دلَّ ذلك على أنَّ اللهَ يُحِبُّهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

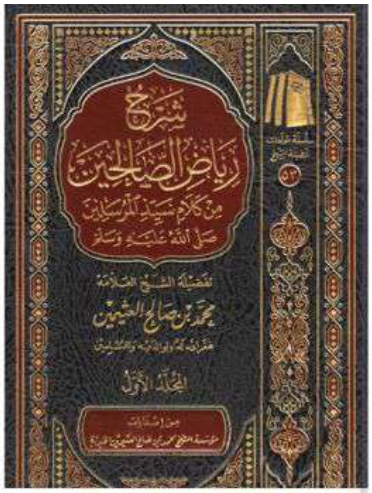

من السنة إذا أحببت شخصًا أن تخبره

٢/ ٤٨٦

وفي حَديثِ مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إخبارُ النَّبيِّ ﷺ أنَّه يُحِبُّهُ، وقَولُهُ لأَنَسٍ لمَّا قال له: إنِّي أُحِبُّ هذا الرَّجُلَ. قالَ لَهُ: «أَأَعْلَمْتَهُ» فدَلَّ هذا على أنَّه من السُّنَّةِ إذا أحْبَبْتَ شَخْصًا أنْ تَقُولَ: إنِّي أُحِبُّكَ؛ وذلك لِمَا في هذه الكَلِمةِ من إلْقاءِ المَحَبَّةِ في قَلْبِهِ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا عَلِمَ أنَّك تُحِبُّهُ أحَبَّكَ مع أنَّ القُلوبَ لَهَا تَعارُفٌ وتآلُفٌ وإنْ لم تَنطِقِ الأَلْسُنُ.

وكَمَا قال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الأَرْواحُ جُنودٌ مُجَنَّدةٌ ما تَعارَفَ منها ائْتَلَفَ، وَمَا تَناكَرَ منها اخْتَلَفَ»[1]، لكِنْ إذا قالَ الإنسانُ بلِسانِهِ؛ فإنَّ هذا يَزيدُهُ مَحَبَّةً في القَلبِ فتَقولُ: إنِّي أُحِبُّكَ في اللهِ.

وفي قَولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تَدَعَنَّ أنْ تَقُولَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ» يَعْني: في آخِرِ كُلِّ صَلاةٍ؛ لأنَّ دُبُرَ الشَّيءِ من الشَّيءِ كَدُبُرِ الحَيَوانِ، وقد وَرَدَ هذا الحَديثُ بلَفظٍ واضِحٍ يدُلُّ على أنَّ الإنسانَ يَقولُها قَبلَ أنْ يُسلِّمَ فيَقولَ قَبلَ السَّلامِ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ، وعلى شُكْرِكَ، وعلى حُسْنِ عِبادَتِكَ».

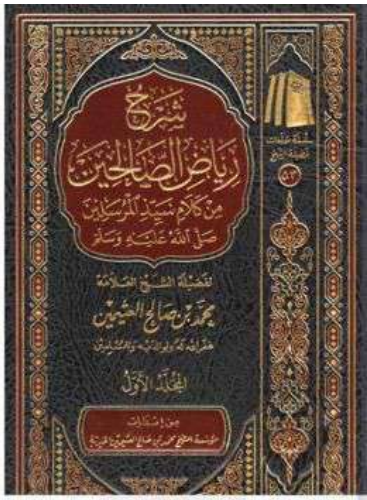

المحبة بين المسلمين من كمال الإيمان

٢/ ٤٨٥

وفي هذا الحديثِ الذي ذَكَرَهُ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ حيثُ قال النَّبيُّ ﷺ: «**والَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**».

ففي هذا دَليلٌ على أنَّ المَحَبَّةَ من كَمالِ الإيمانِ، وأنَّه لا يَكمُلُ إيمانُ العَبدِ حتَّى يُحِبَّ أخاهُ، وأنَّ من أسبابِ المَحَبَّةِ أنْ يُفشِيَ الإنسانُ السَّلامَ بيْنَ إخْوانِهِ، أي: يُظهِرُهُ ويُعلِنُهُ، ويُسلِّمُ على مَن لَقِيَهُ من المُؤْمِنينَ، سواءٌ عَرَفَهُ أو لم يَعرِفْهُ، فإنَّ هذا من أسبابِ المَحَبَّةِ، ولذلك إذا مَرَّ بك رَجُلٌ وسلَّمَ عليك أحْبَبْتَهُ، وإذا أعرَضَ؛ كَرِهتَهُ ولو كان أقرَبَ النَّاسِ إليكَ.

فالذي يَجِبُ على الإنسانِ؛ أنْ يَسْعى لِكُلِّ سَبَبٍ يُوجِبُ المَوَدَّةَ والمَحَبَّةَ بيْنَ المُسلِمينَ؛ وليس من المَعْقولِ ولا من العادةِ أنْ يَتعاوَنَ الإنسانُ مع شَخصٍ لا يُحِبُّهُ، ولا يُمكِنُ التَّعاوُنُ على الخَيرِ، والتَّعاوُنُ على البِرِّ والتَّقْوى إلَّا بالمَحَبَّةِ؛ ولهذا كانتِ المَحَبَّةُ في اللهِ من كَمالِ الإيمانِ.

من أعظم البرّ صِلَة أصدقاء والديك

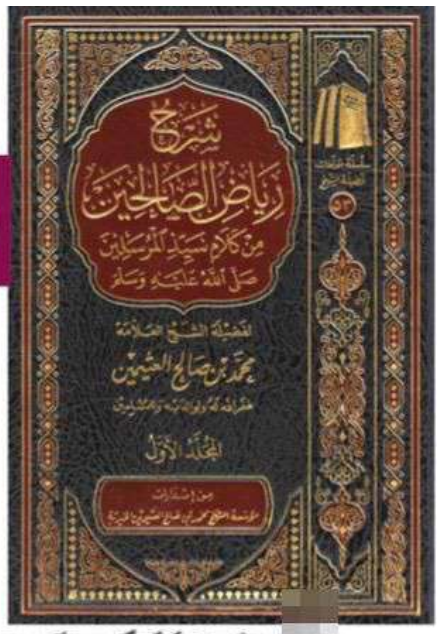

٢/ ٤٣٥

سمعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إنَّ مِنْ أبَرِّ البِرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيهِ بَعْدَ أنْ يُوَلِّيَ» وَإنَّ أبَاهُ كَانَ صَديقًا لعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1].

فيُستفادُ من هذا الحَديثِ أنَّه إذا كان لأبيكَ أو أُمِّكَ أحَدٌ بيْنَهم وبيْنَه وُدٌّ فأَكْرِمْهُ، كذلك إذا كان هُناك نِسْوةٌ صَديقاتٌ لِأُمِّكَ؛ فأَكْرِمْ هَؤلاءِ النِّسْوةَ، وإذا كان رجالٌ أصدِقاءُ لأبيكَ؛ فأَكْرِمْ هؤلاءِ الرِّجالَ؛ فإنَّ هذا من البِرِّ.

وفي هذا الحَديثِ أيضًا: سَعةُ رَحْمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حيثُ إنَّ البِرَّ بابُهُ واسِعٌ لا يختَصُّ بالوالِدِ والأُمِّ فقط؛ بل حتى أصدِقاءِ الوالِدِ وأصدِقاءِ الأُمِّ، إذا أحْسَنْتَ إليهم؛ فإنَّما بَرَرْتَ والِدَيْكَ فتُثابُ ثَوابَ البارِّ بوالِدَيهِ.

وهذه من نِعْمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أنْ وسَّعَ لعبادِهِ أبوابَ الخَيرِ، وكثَّرَها لهم، حتى يَلِجوا فيها من كُلِّ جانِبٍ، نَسألُ اللهَ تَعالى أنْ يَجعَلَنا والمُسلِمينَ من البَرَرةِ، إنَّه جَوادٌ كَريمٌ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعينَ.

من أعظم البرّ صِلَة أصدقاء والديك

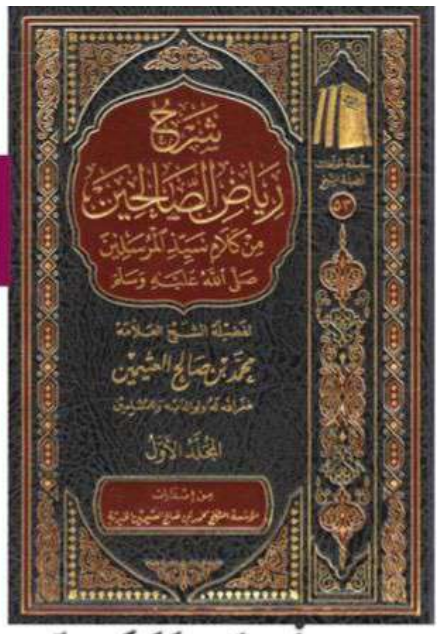

٢/ ٤٣٥

رَأْسَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أبيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَديقًا لعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

فيُستفادُ من هذا الحَديثِ أَنَّه إذا كان لأبيكَ أو أُمِّكَ أحَدٌ بيْنَهم وبيْنَه وُدٌّ فأَكْرِمْهُ، كذلك إذا كان هُناك نِسْوةٌ صَديقاتٌ لِأُمِّكَ؛ فأَكْرِمْ هَؤلاءِ النِّسْوةَ، وإذا كان رجالٌ أصدِقاءُ لأبيكَ؛ فأَكْرِمْ هؤلاءِ الرِّجالَ؛ فإنَّ هذا من البِرِّ.

وفي هذا الحَديثِ أيضًا: سَعةُ رَحْمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حيثُ إنَّ البِرَّ بابُهُ واسِعٌ لا يختَصُّ بالوالِدِ والأُمِّ فقط؛ بل حتى أصدِقاءِ الوالِدِ وأصدِقاءِ الأُمِّ، إذا أحْسَنْتَ إليهم؛ فإنَّما بَرَرْتَ والِدَيْكَ فتُثابُ ثَوابَ البارِّ بوالِدَيهِ.

وهذه من نِعْمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أنْ وسَّعَ لعبادِهِ أبوابَ الخَيرِ، وكثَّرَها لهم، حتى يَلِجوا فيها من كُلِّ جانِبٍ، نَسأَلُ اللهَ تَعالى أنْ يَجعَلَنا والمُسلِمينَ من البَرَرةِ، إنَّه جَوادٌ كَريمٌ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعينَ.

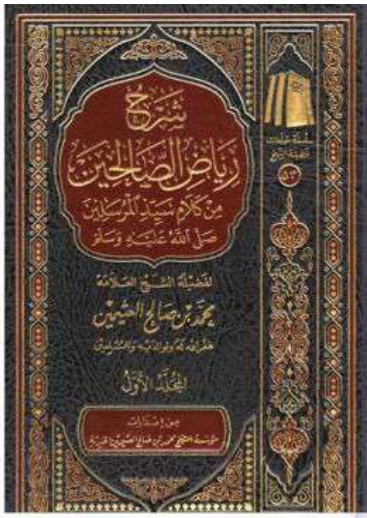

من علامات محبة الله للعبد

٢/ ٤٩١

وذكَرَ أيضًا أحاديثَ أُخْرى في بَيانِ مَحَبَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ اللهَ تَعالى إذا أحبَّ شَخْصًا نادَى جِبْريلَ، وجِبْريلُ أشرَفُ الملائِكةِ، كما أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أشرَفُ البَشَرِ. «نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا، فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فَأحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأرْضِ» فيُحِبُّهُ أهْلُ الأرْضِ.

وإذا أبغَضَ اللهُ أحَدًا -والعِياذُ باللهِ- نادَى جِبْريلَ: إنِّي أُبغِضُ فُلانًا فأَبْغِضْهُ، فيُبغِضُهُ جِبْريلُ، ثُمَّ يُنادي في أهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُبغِضُ فُلانًا فأَبْغِضُوهُ، فيُبغِضُهُ أهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له البَغْضاءُ في الأرضِ -والعِياذُ باللهِ؛ فيُبغِضُهُ أهْلُ الأرْضِ، وهذا أيضًا من عَلاماتِ مَحَبَّةِ اللهِ؛ أنْ يُوضَعَ للإنسانِ القَبولُ في الأرْضِ، بأَنْ يَكونَ مَقْبولًا لدى النَّاسِ، مَحْبوبًا إليهم؛ فإنَّ هذا من عَلاماتِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعالى لِلعَبْدِ. نَسأَلُ اللهَ تَعالى أنْ يَجعَلَنا والمُسلِمينَ من أحْبابِهِ وأوْلِيائِهِ.

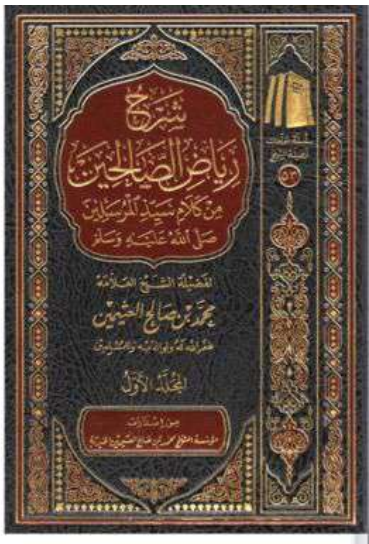

لا تركن إلى الدنيا

٢/ ٥٨٩

وينبَغي للإنسانِ أنْ يَقيسَ ما يَستقبِلُ من عُمرِهِ بما مَضَى؛ فالَّذي مَضَى كأنَّه لا شَيءَ، حتى (أَمْسُك) الأدْنى، كأنَّك لم تَمُرَّ به، أو كأنه حُلمٌ، وكذلك فما يُستقبَلُ من دُنياك، فهو كالذي تقدَّمَ؛ ولهذا لا يَنبَغي الرُّكونُ إلى الدُّنيا ولا الرِّضا بها؛ وكأنَّ الإنسانَ مُخلَّدٌ فيها.

ولذَلِكَ كان ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ» فإنَّك قد تَموتُ قَبلَ أنْ تُمسِيَ. «إِذَا أَمْسَيتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ» فإنَّك قد تَموتُ قَبلَ أنْ تُصبِحَ، ولكِنِ انْتَهِزِ الفُرْصةَ، لا تُؤخِّرِ العَمَلَ، لا تَرْكَنْ إلى الدُّنيا فتُؤَمِّلِ البَقاءَ مع أنَّك لا تَدْري.

«وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» انْتَهِزِ الصِّحَّةَ، انْتَهِزِ الحَيَاةَ، فإنَّك قد تَمرَضُ فتَعجَزُ، وقد تَفتَقِرُ فتَعجَزُ، وقد تَموتُ فيَنقطِعُ عَمَلُكَ.

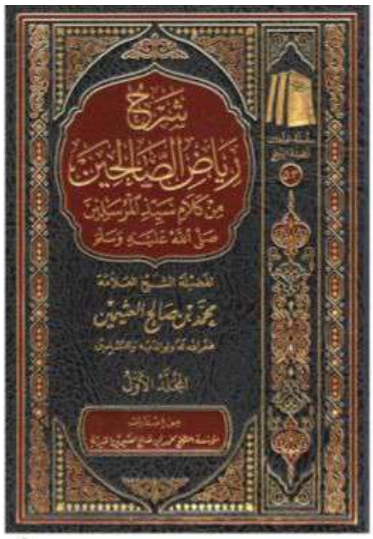

لا تغتر بالدنيا

٢/ ٦٧١

لكِنَّ الدُّنيا لا تُطيلُ الأَمَلَ فيها، فكَمْ من إنسانٍ أَمَّلَ أَمَلًا بَعيدًا فإذا الأجَلُ يَفجَؤُهُ؟! وكَمْ مِن إنسانٍ يُقدِّرُ ويُفكِّرُ سيَفعَلُ ويَفعَلُ ويَفعَلُ، فإذا به قد انْتَهى أجَلُهُ وتَرَكَ ما أمَّلَهُ، وانْقَطَعَ حَبْلُ الأَمَلِ، وحَضَرَ الأَجَلُ؟!

فالذي يَنبَغي للإنسانِ العاقِلِ أنَّه كُلَّما رَأى من نَفْسِهِ طُموحًا إلى الدُّنيا وانشِغالًا بها واغْتِرارًا بها أنْ يَتذكَّرَ المَوتَ، ويَتذكَّرَ حالَ الآخِرَةِ؛ لأنَّ هذا هو المآلُ المُتيقَّنُ، وما يُؤمِّلُهُ الإنسانُ في الدُّنيا فقد يَحصُلُ وقد لا يَحصُلُ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء:١٨]، لا ما يشاءُ هو، بل ما يشاءُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

﴿ومَا الحَياةُ الدُّنيا إلّا مَتاعُ الغُرورِ﴾

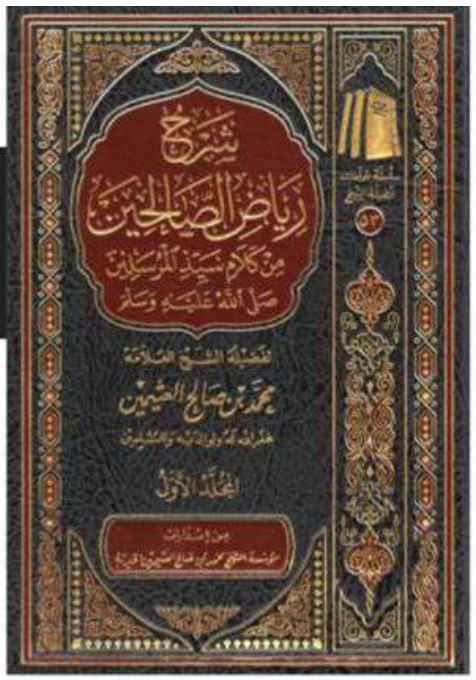

٢/ ٦٧٢

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، صَدَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ؛ الدُّنيا مَتاعُ الغُرورِ، أيْ: مَتاعٌ ليس دائمًا؛ بل كما يكونُ للمُسافِرِ مَتاعٌ يَصِلُ به إلى مُنتَهى سَفَرِهِ، ومع ذلك فهي مَتاعُ غُرورٍ تَغُرُّ الإنسانَ، تَزْدانُ له وتَزدَهِرُ وتكتَحِلُ وتَتحسَّنُ وتكونُ كأحسَنِ شَيءٍ، ولكِنَّها تَغُرُّهُ.

كُلَّما كَثُرَتِ الدُّنيا وتَشبَّثَ الإنسانُ بها بَعُدَ مِنَ الآخِرَةِ؛ ولهذا قال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَواللهِ مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَطَ الدُّنيا عَلَيْكُمْ كَما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَما تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَما أهْلَكَتْهُمْ»[1].

ولهذا نَجِدُ الإنسانَ أحيانًا يكونُ في حالِ الضِّيقِ أو الوَسَطِ خَيْرًا منه في حالِ الغِنَى؛ لأنَّه يَغُرُّهُ الغِنَى ويُطْغيهِ -والعِياذُ باللهِ-؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، يَعْني فلا تَغتَرُّوا بها، وعليكم بالآخِرَةِ التي إذا زُحزِحَ فيها الإنسانُ عن النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ، فإنَّه بذلك يَفوزُ فَوزًا لا فَوْزَ مِثلَهُ، نَسأَلُ اللهَ أنْ يَجعَلَنا وإيَّاكُم ممَّن أُوتِيَ في الدُّنيا حَسَنةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنةً، وَوَقاهُ اللهُ عذابَ النَّارِ.

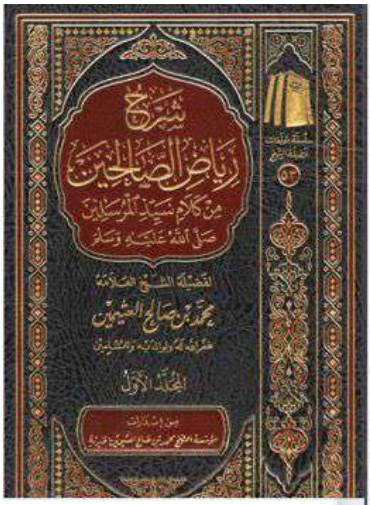

معنى قوله ﷺ:

"وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ"

٢/ ٦٤٥

ثُمَّ قالَ ﷺ: «وَمَا تَواضَعَ أحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ». وهـذه الرِّفْعةُ تَكـونُ بِسَبَبِ التَّواضُعِ والتَّطامُنِ، والتَّهاوُنِ، ولكِنَّ الإنسانَ يَظُنُّ أنَّه إذا تواضَعَ نَزَلَ، ولكِنَّ الأمْرَ بالعَكْسِ، إذا تواضَعْتَ للهِ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى يَرفَعُكَ.

وقَولُهُ: «تَواضَعَ للهِ» لَها مَعْنيانِ:

المَعْنى الأوَّلُ: أنْ تَتواضَعَ للهِ بالعِبادَةِ، وتَخضَعَ للهِ، وتَنْقادَ لِأَمْرِ اللهِ.

المَعْنى الثَّاني: أنْ تَتواضَعَ لِعِبادِ اللهِ من أجْلِ اللهِ، وكِلاهُما سَبَبٌ للرِّفْعةِ، سَواءٌ تَواضَعْتَ للهِ بامتِثالِ أمْرِهِ واجتِنابِ نَهْيِهِ، وذَلَلْتَ له وعَبَدتَهُ، أو تَواضَعْتَ لِعِبادِ اللهِ من أجْلِ اللهِ لا خَوْفًا منهم، ولا مُداراةً لَهُم، ولا طَلَبًا لمالٍ أو غَيرِهِ، إنَّما تَتَواضَعُ من أجْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ اللهَ تَعالى يَرفَعُكَ في الدُّنيا وفي الآخِرَةِ.

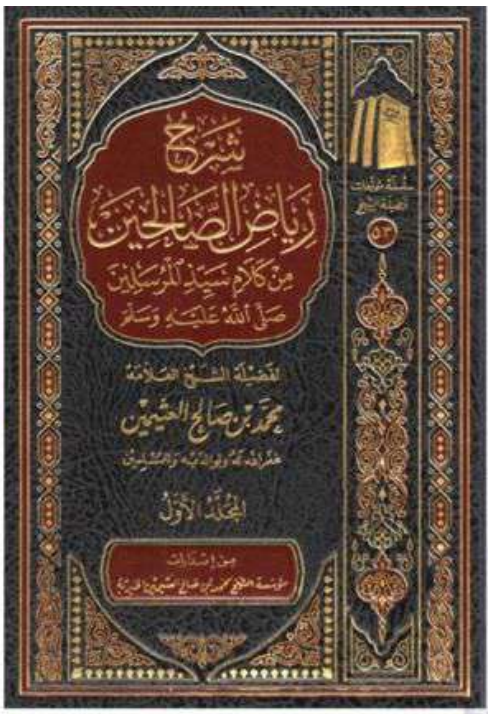

معنى قوله ﷺ:

"مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ"

٢/ ٦٤٣

ثُمَّ ذكَرَ المُؤلِّفُ الحَديثَ الآخَرَ أنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» يَعْني الإنسانَ إذا تَصدَّقَ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ يَقولُ له: أنتَ إذا تَصدَّقْتَ نَقَصَ مالُكَ، عِندَكَ مِئَةُ ريالٍ إذا تَصدَّقتَ بِعَشَرةٍ لم يَكُنْ عِندَكَ إلَّا تِسْعونَ، إذَنْ نَقَصَ المالُ فلا تَتصدَّقْ، كُلَّما تَصَدَّقتَ يَنقُصُ مالُكَ.

ولكِنْ مَن لا يَنطِقُ عَنِ الهَوى يَقولُ: إنَّ الصَّدَقةَ لا تَنقُصُ المالَ، لا تَنقُصُهُ لماذا؟ قد تَنقُصُهُ كَمًّا، لكِنَّها تَزيدُهُ كَيْفًا وبَرَكَةً، ورُبَّما هذه العَشَرةُ يَأْتي بَدَلَها مِئَةٌ، كما قال تَعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، أي: يَجعَلُ لكم خَلَفًا عنه عاجِلًا، وأجْرًا وثَوابًا آجِلًا. قال تَعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة:٢٦١].

فالزِّيادةُ التي تَحصُلُ بَدَلَ الصَّدَقةِ إمَّا كَمِّيَّةٌ وإمَّا كَيْفِيَّةٌ.

مِثالُ الكَمِّيَّةِ: أنَّ اللهَ تَعالى يَفتَحُ لك بابًا من الرِّزقِ ما كان في حِسابِكَ.

والكَيْفِيَّةِ: أنْ يُنزِلَ اللهُ لك البَرَكَةَ فيما بَقِيَ من مالِكَ.

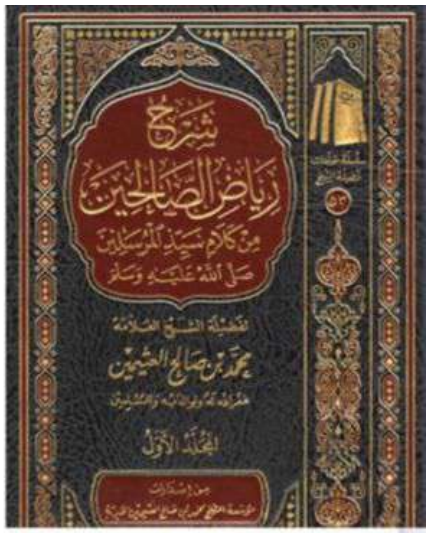

ما أنفقته فالله تعالى يُخْلفه

٢/ ٦٣٤

فاللهُ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَ في كِتابِهِ أنَّ ما أنْفَقَهُ الإنسانُ فإنَّ اللهَ يُخلِفُهُ عليه، يُعْطيهِ خَلَفًا عنه، وهذا يُفسِّرُهُ قَولُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الأحاديثِ التي ساقَها المُؤلِّفُ مِثلُ قَولِهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» يَعْني: أَتْلِفْ مالَهُ.

والمُرادُ بذلك مَن يُمسِكُ عمَّا أوجَبَ اللهُ عليه من بَذْلِ المالِ فيه، وليس كُلُّ مُمْسِكٍ يُدْعى عليه؛ بل الذي يُمسِكُ مالَهُ عن إنْفاقِهِ فيما أوجَبَ اللهُ، فهو الذي تَدْعُو عليه الملائِكةُ بأنَّ اللهَ يُتلِفُهُ ويُتلِفُ مالَهُ.

والتَّلَفُ نَوْعانِ: تَلَفٌ حِسِّيٌّ، وتَلَفٌ مَعْنويٌّ.

١ - التَّلَفُ الحِسِّيُّ: أنْ يُتلَفَ المالُ نَفْسُهُ، بأنْ يَأتِيَهُ آفةٌ تُحرِقُهُ أو يُسرَقُ أو ما أشبَهَ ذلك.

٢ - والتَّلَفُ المَعْنويُّ: أنْ تُنزَعَ بَرَكَتُهُ، بحيث لا يَستفيدُ الإنسانُ منه في حَياتِهِ، ومنه ما ذَكَرَهُ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث قالَ لأَصْحابِهِ: «أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، ما مِنَّا أحَدٌ إلَّا ومالُهُ أحَبُّ إليه.

فمالُكَ أحَبُّ إليك من مَالِ زَيْدٍ وعَمْرٍو وخالِدٍ، ولو كان مِن وَرَثَتِكَ، قال: «فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ».

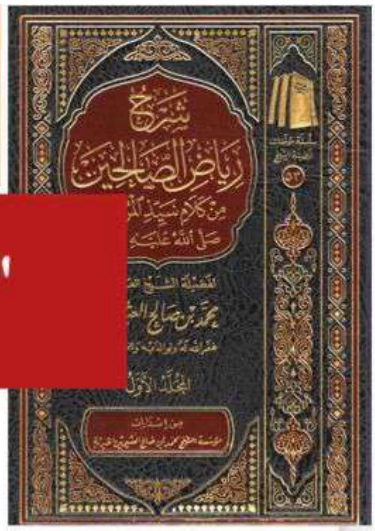

قال ابن عمر رضي الله عنهما:

"وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"

٢/ ٦٩١

قال: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» الإنسانُ الصَّحيحُ مُنشَرِحُ الصَّدرِ، مُنبَسِطُ النَّفسِ، واسِعُ الفِكْرِ، عِندَهُ سَعةٌ في الوَقتِ والصِّحَّةِ، لكِنْ ما أكثَرَ الذين يُضيِّعون هذا؛ لأنَّه يُؤمِّلُ أنَّ هذه الصِّحَّةَ سوف تَبْقى وتَدومُ، وأنَّه سوف تَطولُ به الدُّنيا، فتَجِدُهُ قد ضَيَّعَ هذه الصِّحَّةَ.

فابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقولُ: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ». المَرَضُ تَضيقُ به النَّفْسُ، ويَتعَبُ به الجِسمُ، وتَضيقُ عليه الدُّنيا، ولا يَستطيعُ أنْ يَعمَلَ العَمَلَ الذي يَعمَلُهُ في حالِ الصِّحَّةِ، فلْيَأخُذْ من صِحَّتِهِ لِمَرَضِهِ، ومِن حَياتِهِ لِمَوتِهِ، قِسْ ما بيْنَ حياتِكَ ومَوتِكَ أيُّهما أطوَلُ؟ لا شكَّ أنَّ الحياةَ لا تُنسَبُ للمَوتِ، كَمْ للرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ميِّتًا؟ كَمْ لِمَنْ قَبلَهُ؟ وحياتُهُم قَليلةٌ بالنِّسْبةِ لِمَوْتِهم، فكَيفَ إلى الآخِرَةِ.

ولهذا يَنبَغي للإنسانِ أنْ يَأخُذَ من حَياتِهِ -ما دامَ اللهُ قد أحْياهُ- لِمَوتِهِ إذا عَجَزَ عن العَمَلِ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا ماتَ الإنْسَانُ انقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلاثَةٍ: صَدَقةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1] فخُذْ من حَياتِكَ لِمَوتِكَ.

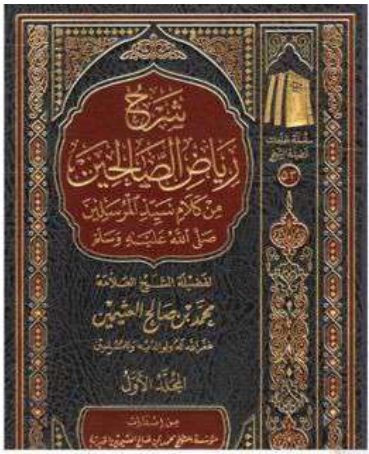

اعتنِ بصلاح قلبك

٢/ ٢٧٢

فأنتَ اعْتَنِ بصَلاحِ القَلبِ، انْظُرْ قَلْبَكَ هل فيه شَيءٌ من الشِّركِ؟ هل فيه شَيءٌ من كَراهةِ ما أنزَلَ اللهُ؟ هل فيه شَيءٌ من كَراهةِ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ؟ هل فيه شَيءٌ من المَيْلِ إلى الكُفَّارِ؟ هل فيه شَيءٌ من مُوالاةِ الكُفَّارِ؟ هل فيه شَيءٌ من الحَسَدِ، هل فيه شَيءٌ من الغِلِّ؟ هل فيه شَيءٌ من الحِقْدِ، وما أشبَهَ ذلك من الأمْراضِ العَظيمةِ الكَثيرةِ في القُلوبِ، فطَهِّرْ قَلْبَكَ من هذا وأَصْلِحْهُ، فإنَّ المَدارَ عليه.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:٩-١١]، هذا يَومُ القيامةِ، العِلمُ على الباطِنِ، في الدُّنيا العَمَلُ على الظَّاهِرِ، ما لنا إلَّا ظواهِرُ النَّاسِ، لكِنْ في الآخِرةِ العَمَلُ على الباطِنِ، أصلَحَ اللهُ قُلوبَنا وقُلوبَكُم.

قال تَعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:٩]، ﴿تُبْلَى﴾ يَعْني: تُختَبَرُ السَّرائِرُ فمَن كان من المُؤْمِنينَ؛ ظَهَرَ إيمانُهُ، ومَن كان من أهْلِ النِّفاقِ؛ ظَهَرَ نِفاقُهُ -والعِياذُ باللهِ-.

لذلك أَصْلِحْ قَلْبَكَ يا أخي، لا تَكرَهْ شَريعةَ اللهِ، لا تَكْرَهْ عِبادَ اللهِ الصَّالِحِينَ، لا تَكْرَهْ أيَّ شَيءٍ ممَّا نزَّلَ اللهُ، فإنَّ كَراهَتَكَ لِشَيءٍ ممَّا نزَّلَ اللهُ كُفرٌ باللهِ تَعالى، نَسأَلُ اللهَ لنا ولكُمُ الهِدايةَ والتَّوْفيقَ والصَّلاحَ.

الحث على زيارة القبور

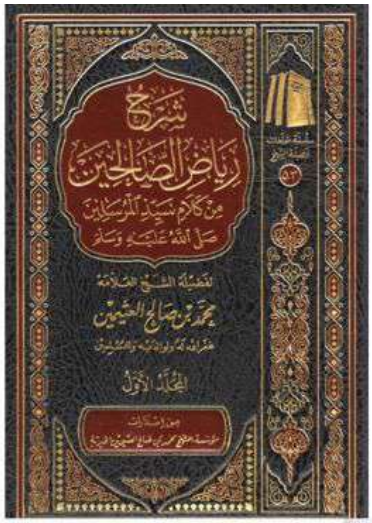

٢/ ٧٠٦

المُهِمُّ أنَّ الإنسانَ يَنبَغي له أنْ يَزورَ القُبورَ في كُلِّ وَقتٍ، في اللَّيلِ، في النَّهارِ، في الصَّباحِ، في المَساءِ، في يَومِ الجُمُعةِ، في غَيرِ يَومِ الجُمُعةِ، ليس لها وَقتٌ مُحَدَّدٌ، وكُلَّما غَفَلَ قَلبُكَ واندَمَجَتْ نَفْسُكَ في الحَياةِ الدُّنيا؛ فاخْرُجْ إلى القُبورِ، وتَفكَّرْ في هَؤلاءِ القَومِ الذين كانوا بالأمْسِ مِثْلَكَ على الأرضِ يَأكُلونَ ويَشرَبونَ ويَتمتَّعونَ، والآنَ أينَ ذَهَبوا؟ صارُوا الآنَ مُرتَهَنينَ بأعْمالِهِم، لم يَنفَعْهُم إلَّا عَمَلُهُم كما أخْبَرَ بذَلِكَ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنَّه قال: «**يَتْبَعُ الميِّتَ ثَلاثَةٌ: مَالُهُ وأهْلُهُ وعَمَلُهُ، فيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى واحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ ومَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**»[1].

فَفَكِّرْ في هَـؤلاءِ القَومِ، ثُمَّ سَلِّمْ عليـهم: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**» والظَّاهِـرُ -واللهُ أعلَمُ- أنَّهم يَرُدُّونَ السَّلامَ؛ لأنَّه يُسلِّمُ عليـهم بصِيغةِ الخِـطابِ «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ**»، ويَحتمِلُ أنْ يُرادَ بذلك السَّلامِ مُجَرَّدُ الدُّعاءِ فقط، سواءٌ سَمِعوا أمْ لم يَسْمَعوا، أجابُوا أمْ لم يُجيبوا.

كل ارتفاع من أمر الدنيا لابد له من انخفاض

٢/ ٧٦٥

فالعَضْباءُ هذه كان الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَرَونَ أنَّها لا تُسبَقُ أوْ لا تَكادُ تُسبَقُ، فجاءَ هذا الأعْرابيُّ بقَعودِهِ فسَبَقَ العَضْباءَ، فكأنَّ ذلك شَقَّ على الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال النَّبيُّ ﷺ لَمَّا عَرَفَ ما في نُفوسِهِم: «حَقٌّ عَلَى اللهِ أَلَّا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنيا إِلَّا وَضَعَهُ».

فكُلُّ ارتِفاعٍ يَكونُ في الدُّنيا فإنَّه لا بُدَّ أنْ يَؤُولَ إلى انخِفاضٍ، فإنْ صَحِبَ هذا الارتِفاعَ ارتِفاعٌ في النُّفوسِ وعُلُوٌّ في النُّفوسِ، فإنَّ الوَضْعَ إليه أسرَعُ؛ لأنَّ الوَضْعَ يَكونُ عُقوبةً، أمَّا إذا لم يَصْحَبْهُ شَيءٌ، فإنَّه لا بُدَّ أنْ يَرجِعَ ويُوضَعَ؛

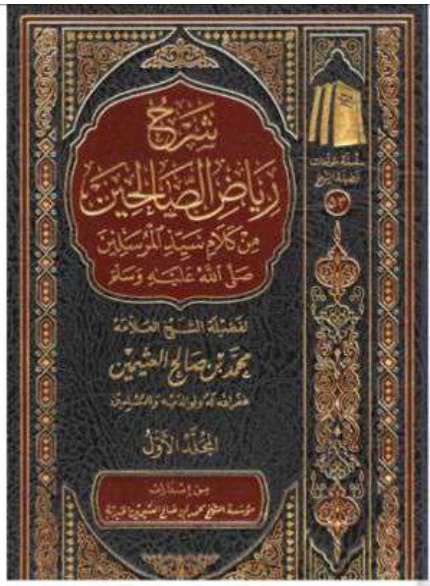

الأفضل الوصية بالخُمُس لا الثلث

٢/ ٦٩٥

ولكِنْ هلِ الأفضَلُ الثُّلُثُ أو الرُّبُعُ أو ما دُونَ ذلك؟ نقولُ: أكثرُ شَيءٍ الثُّلُثُ لا تَزِدْ عليه، وما دُونَ الثُّلُثِ فهو أفضَلُ منه؛ ولهذا قال ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو أنَّ النَّاسَ غَضُّوا مِن الثُّلُثِ إلى الرُّبُعِ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لسَعدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ: «الثُّلُثُ والثُّلُثُ كَثيرٌ»[1]، وكان أبو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْصى بخُمُسِ مالِهِ. وقال: أَرْضى بما رَضِيَ اللهُ لنَفسِهِ الخُمُسُ، فأَوْصى بخُمُسِ مالِهِ[2]. وهذا أحسَنُ ما يَكونُ.

وليتَ طَلَبَةَ العِلمِ والذين يَكتُبونَ الوَصايا يُنبِّهونَ المُوصِينَ على أنَّ الأفضَلَ: الوَصِيَّةُ بالخُمُسِ لا بالثُّلُثِ، وقد شاعَ عِندَ النَّاسِ الثُّلُثُ دائِمًا، وهذا الحَدُّ الأَعْلى الذي حدَّهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وما دُونَهُ أفضَلُ منه، فالرُّبُعُ أفضَلُ من الثُّلُثِ، والخُمُسُ أفضَلُ من الرُّبُعِ.

وإذا كان الوَرَثَةُ مُحْتاجينَ، فتَركُ الوَصِيَّةِ أَوْلى؛ هُمْ أحَقُّ مِن غَيرِهِم. قال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إنَّكَ إنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أغْنِياءَ خَيرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عالَةً يَتكَفَّفُونَ النَّاسَ»[1]، فإذا كان الوَرَثَةُ الذين يَرِثونَكَ تَعرِفُ أنَّ حالَهم وَسَطٌ، والمالُ شَحيحٌ عِندَهم، وأنَّهم إلى الفَقرِ أقرَبُ، فالأفضَلُ ألَّا تُوصِيَ.

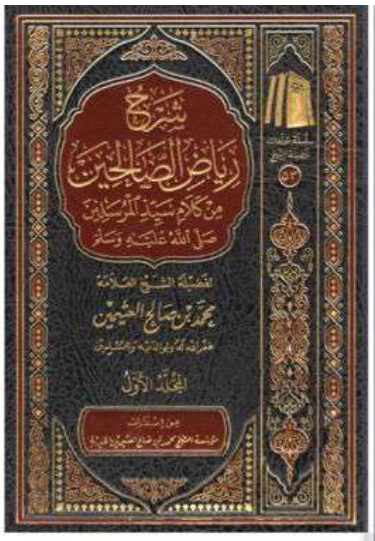

من تواضع النبي ﷺ خدمته لأهل بيته

٢/ ٧٦١

ومِن تَواضُعِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان في بَيتِهِ في خِدْمةِ أهْلِهِ، يَحلُبُ الشَّاةَ، يَخصِفُ النَّعْلَ، يَخدُمُهم في بَيتِهِم؛ لأنَّ عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سُئِلَتْ ماذا كان النَّبيُّ ﷺ يَصنَعُ في بَيتِهِ؟ قالت: «كان في مِهْنةِ أهْلِهِ» يَعْني في خِدمَتِهِم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمَثَلًا الإنسانُ إذا كان في بَيتِهِ، فمِنَ السُّنَّةِ أنْ يَصنَعَ الشَّايَ مَثَلًا لِنَفسِهِ، ويَطبُخَ إذا كان يَعرِفُ، ويَغسِلَ ما يَحتاجُ إلى غَسْلِهِ، كُلُّ هذا من السُّنَّةِ، أنتَ إذا فَعَلْتَ ذلك تُثابُ عليه ثَوابَ سُنَّةٍ؛ اقتِداءً بالرَّسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتَواضُعًا للهِ عَزَّوَجَلَّ؛ ولأنَّ هذا يُوجِدُ المَحَبَّةَ بيْنَك وبيْنَ أهْلِكَ، إذا شَعَرَ أهْلُكَ أنَّك تُساعِدُهُم في مِهْنَتِهِم أحَبُّوكَ، وازْدادَتْ قِيمَتُكَ عِندَهُم، فيكونُ في هذا مَصْلحةٌ كَبيرةٌ.

لابد من القيام بواجب ردّ السلام

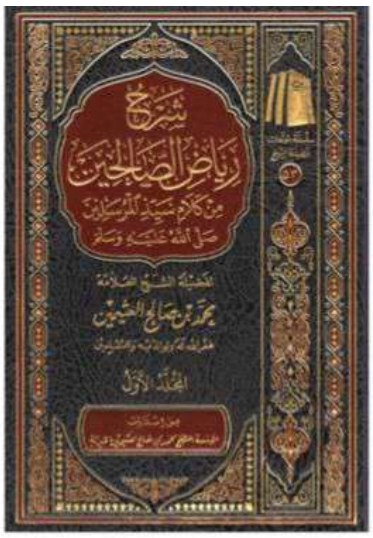

٢/ ٧٦٢

مَسألةٌ: هَلْ إذا قالَ الإنسانُ في الردِّ على السَّلامِ: (أَهْلًا ومَرحبًا) هَلْ يَكفِي؟

الجوابُ: نَقولُ: لا يَكفِي لَوْ قالَ الإِنسانُ في ردِّ السلامِ: (أهلًا ومَرحَبًا) ألفَ مَرةٍ واقتَصَرَ على ذلكَ فإنَّه عاصٍ وآثمٌ؛ لأنَّه لم يَقُمْ بالواجِبِ، الواجِبُ أَنْ يَرُدَّ فيَقولَ: علَيْكمُ السَّلامُ. ثُم يَقولَ: أَهلًا وسَهلًا أو أهلًا ومَرحَبًا. ويَحسُنُ بالمُسلِمِ إذا سلَّمَ وقالَ المُجيبُ: (أهلًا وسَهلًا) أَنْ يَردَّ وأَنْ يُعيدَ ويَقولَ: السَّلامُ علَيْكم. فإذا قالَ لَه: أَهْلًا وسَهلًا. قالَ: السَّلامُ علَيْكم. حتَّى يَعرِفَ المُجيبُ أَنَّه لم يَقُمْ بالواجِبِ، ويَكونُ هَذا صبغةً في قَلبِه لا يَنساها. وفَّقَ اللهُ الجَميعَ لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضى.

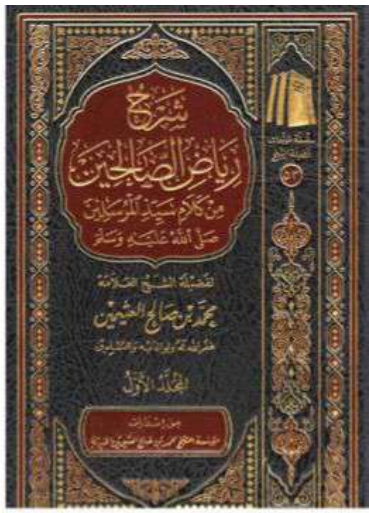

من الصور المحرمة المتعلقة بالعمالة

٢/ ٧٣٤

أمَّا بالنِّسْبةِ للعُمَّالِ الذين يَجلِبُهُمُ الإنسانُ إلى البلادِ ويقولُ: اذْهَبوا وعليكم كُلَّ شَهرٍ كذا وكذا من الدَّراهِمِ، فإنَّ هذا حَرامٌ وظُلْمٌ ومُخالِفٌ لِنِظامِ الدَّوْلةِ، والعَقدُ على هذا الوَجْهِ باطِلٌ، فليس لصاحِبِ العَمَلِ شَيءٌ ممَّا فَرَضَهُ على هَؤلاءِ العُمَّالِ؛ لأنَّ العامِلَ رُبَّما يَكدَحُ ويَتعَبُ ولا يُحصِّلُ ما فَرَضَهُ عليه كَفيلُهُ، ورُبَّما لا يُحصِّلُ شَيئًا أبدًا، فكان في هذا ظُلْمٌ.

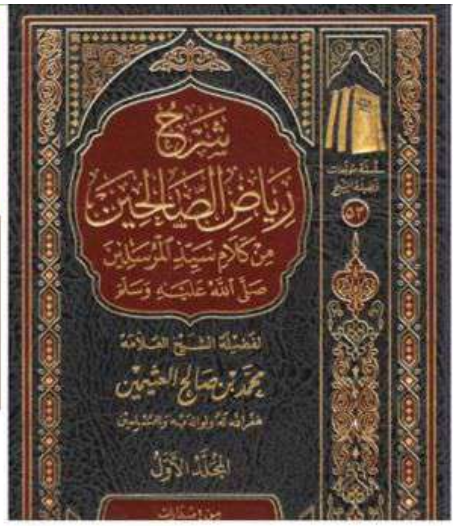

معنى قوله ﷺ:

"وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ"

٢/ ٧٥٧

والتَّواضُعُ للهِ له مَعْنَيانِ:

المَعْنى الأوَّلُ: أنْ تَتَواضَعَ لِدِينِ اللهِ، فلا تَترفَّعَ عن الدِّينِ ولا تَستكْبِرَ عنه وعن أداءِ أحْكامِهِ.

والثَّاني: أنْ تَتَواضَعَ لعِبادِ اللهِ من أجْلِ اللهِ، لا خَوْفًا منهم، ولا رَجاءً لِمَا عِندَهُم، ولكِنْ للهِ عَزَّوَجَلَّ.

والمَعْنَيانِ صَحيحانِ، فمَنْ تواضَعَ للهِ؛ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في الدُّنيا وفي الآخِرَةِ، وهذا أمْرٌ مُشاهَدٌ، أنَّ الإنسانَ المُتواضِعَ يكونُ مَحَلَّ رِفْعةٍ عِندَ النَّاسِ وذِكْرِ حَسَنٍ، ويُحِبُّهُ النَّاسُ، وانْظُرْ إلى تَواضُعِ الرَّسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو أشرَفُ الخَلْقِ، حيث كانتِ الأَمَةُ من إماءِ المدينةِ تَأْتي إليه، وتَأخُذُ بيَدِهِ، وتَذهَبُ به إلى حيث شاءَتْ

لِيُعينَها في حاجَتِها، هذا وهو أشرَفُ الخَلْقِ، أَمَةٌ من الإماءِ تَأْتي وتَأخُذُ بيَدِهِ تَذهَبُ به إلى حيثُ شاءَتْ لِيَقضِيَ حاجَتَها، ولا يقولُ: أينَ تَذْهبينَ بي، أو يقولُ: اذْهَبي إلى غَيْري، بل كان يَذهَبُ معها ويَقْضي حاجَتَها، لكِنْ مع هذا ما زادَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بذلك إلَّا عِزًّا ورِفْعةً صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليه.

﴿وَما تَدري نَفسٌ ماذا تَكسِبُ غَدًا

وَما تَدري نَفسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَموتُ﴾

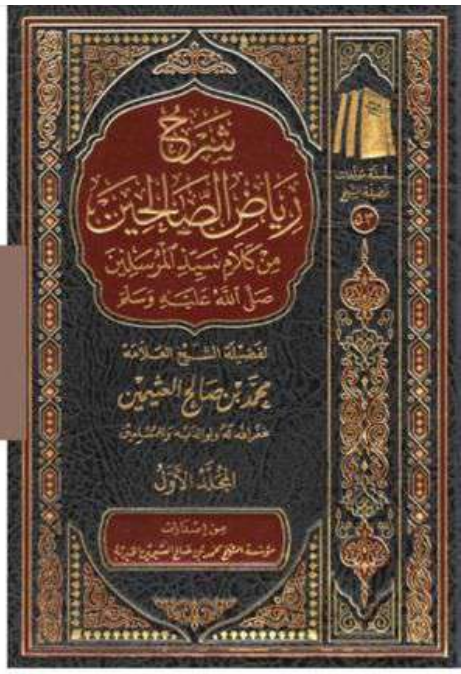

٢/ ٦٧٥

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يَعْني ماذا تَكسِبُ في المُستقبَلِ؟ فلا تَدْري نَفْسٌ ماذا تَكسِبُ، هل تَكسِبُ خَيْرًا أو تَكسِبُ شَرًّا، أو تَموتُ قَبلَ غَدٍ، أو يَأْتي غَدٌ وفيهِ ما يَمنَعُ العَمَلَ، وما أشبَهَ ذلك؟ فالإنسانُ يُقدِّرُ يَقولُ: غَدًا سأفعَلُ كذا، سأفعَلُ كذا، لكِنَّه قد لا يَفعَلُ، فهو لا يَعلَمُ ماذا يَكسِبُ غَدًا عِلْمًا يَقينيًّا، ولكِنَّه يُقدِّرُ وقد تُخلَفُ الأُمورُ.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، لا يَدْري الإنسانُ بأيِّ أرْض يَموتُ، هل يَموتُ بأرْضِهِ، أو بأرْضٍ بَعيدةٍ عنها، أو قَريبةٍ منها، أو يَموتُ في البَحْرِ، أو يَموتُ في الجَوِّ؟ لا يَدْري، ولا يَعلَمُ ذَلِكَ إلَّا اللهُ.

فإذا كنتَ كذلك؛ فاقصُرِ الامَل، لا تَمُدّ الامَل طويلا، لا تقل: انا شابّ وسوف أَبْقى زَمانًا طَويلًا، فكَمْ من شابٍّ ماتَ في شَبابِهِ، وكَمْ من شَيخٍ عُمِّرَ، ولا تَقُلْ: إنِّي صَحيحُ البَدَنِ والمَوتُ بَعيدٌ، فكَمْ من إنسانٍ مَرِضَ بمَرَضٍ يُهلِكُهُ بسُرعةٍ، وكَمْ من إنسانٍ حَصَلَ عليه حادِثٌ، وكَمْ من إنسانٍ ماتَ بَغْتةً، لذَلِكَ لا يَنبَغي للإنسانِ أنْ يُطيلَ الأَمَلَ؛ بل عليه أنْ يَعمَلَ، وللدُّنيا عَمَلُها، وللآخِرَةِ عَمَلُها، فيَسْعى للآخِرَةِ سَعْيَها بإيمانٍ باللهِ عَزَّوَجَلَّ واتِّكالٍ عليه.

العُزلة والخُلطة أيهما أفضل؟

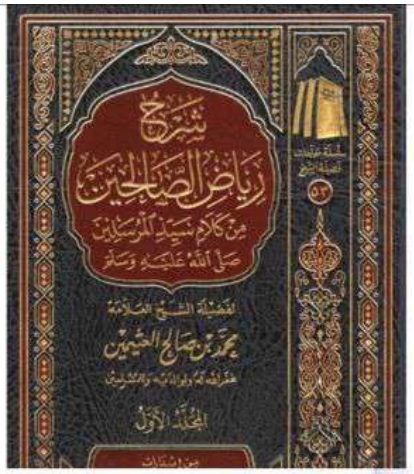

٢/ ٧٤٠

واعْلَمْ أنَّ الأفضَلَ هو المُؤمِنُ الذي يُخالِطُ النَّاسَ ويَصبِرُ على أذاهُم، هذا أفضَلُ من المُؤمِنِ الذي لا يُخالِطُ النَّاسَ ولا يَصبِرُ على أذاهُم، ولكِنْ أحيانًا تَحدُثُ أُمورٌ تَكونُ العُزْلةُ فيها خَيرًا من الاختِلاطِ بالنَّاسِ؛ من ذلك إذا خافَ الإنسانُ على نَفْسِهِ فِتْنةً، مِثلَ أنْ يَكونَ في بَلَدٍ يُطالَبُ فيها بأنْ يَنحَرِفَ عن دِينِهِ، أو يَدْعُوَ إلى بِدْعةٍ، أو يَرى الفُسوقَ الكَثيرَ فيها، أو يَخْشى على نَفْسِهِ من الفَواحِشِ، وما أشبَهَ ذلك، فهنا العُزْلةُ خَيرٌ له.

ولهذا أُمِرَ الإنسانُ أنْ يُهاجِرَ من بَلَدِ الشِّركِ إلى بَلَدِ الإسْلامِ، ومِن بَلَدِ الفُسوقِ إلى بَلَدِ الاستِقامةِ، فكذلك إذا تَغيَّرَ النَّاسُ والزَّمانُ؛ ولهذا صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

فهذا هو التَّقسيمُ؛ العُزْلةُ خَيرٌ إنْ كان في الاختِلاطِ شَرٌّ وفِتْنةٌ في الدِّينِ؛ وإلَّا فالأصْلُ أنَّ الاختِلاطَ هو الخَيرُ، يَختَلِطُ الإنسانُ مع النَّاسِ فيَأمُرُ بالمَعْروفِ، ويَنْهى عن المُنكَرِ، يَدْعُو إلى حَقٍّ، يُبيِّنُ السُّنَّةَ للنَّاسِ، فهذا خَيرٌ.

لكِنْ إذا عَجَزَ عن الصَّبرِ وكَثُرَتِ الفِتَنُ؛ فالعُزْلةُ خَيرٌ ولو أنْ يَعبُدَ اللهَ على رَأْسِ جَبَلٍ أو في قَعْرِ وَادٍ.

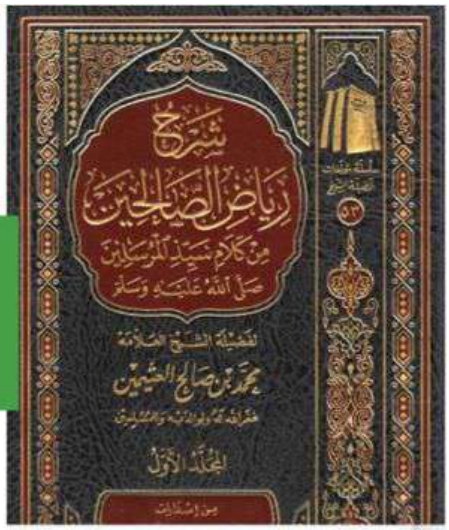

معنى قوله ﷺ:

"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ"

٢/ ٧٤١

التَّقيُّ: الذي يَتَّقي اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فيقومُ بأوامِرِهِ، ويَجتَنِبُ نَواهِيَهُ؛ يقومُ بأوامِرِهِ مِن فِعلِ الصَّلاةِ وأدائِها في جَماعةٍ، يقومُ بأوامِرِهِ من أداءِ الزَّكاةِ وإعطائِها مُستحِقِّيها، يَصومُ رَمَضانَ، ويحُجُّ البَيتَ، يَبَرُّ وَالِدَيهِ، يَصِلُ أرْحامَهُ، يُحسِنُ إلى جيرانِهِ، يُحسِنُ إلى اليتامى، إلى غَيرِ ذلك من أنواعِ التُّقى والبِرِّ وأبْوابِ الخَيرِ.

الغَنيُّ: الذي استَغْنَى بنَفسِهِ عن النَّاسِ، غَنيٌّ باللهِ عَزَّوَجَلَّ عمَّن سِواهُ، لا يَسأَلُ النَّاسَ شَيئًا، ولا يَتعرَّضُ للنَّاسِ بتَذلُّلٍ؛ بل هو غَنيٌّ عن النَّاسِ، عارِفٌ نَفْسَهُ، مُستغنٍ برَبِّهِ، لا يَلتَفِتُ إلى غَيرِهِ.

الخَفيُّ: هو الذي لا يُظهِرُ نَفْسَهُ، ولا يَهتَمُّ أنْ يَظهَرَ عِندَ النَّاسِ، أو يُشارَ إليه بالبَنانِ، أو يَتحدَّثَ النَّاسُ عنه، تَجِدُهُ من بَيتِهِ إلى المَسجِدِ، ومن مَسجِدِهِ إلى بَيتِهِ، ومِن بَيتِهِ إلى أقارِبِهِ وإخْوانِهِ خَفِيٌّ، يُخفي نَفْسَهُ.

ولكِنْ لا يَعْني ذلك أنَّ الإنسانَ إذا أعْطاهُ اللهُ عِلمًا أنْ يَتَقَوقَعَ في بَيتِهِ ولا يُعلِّمَ النَّاسَ، هذا يُعارِضُ التُّقى، فتَعْليمُهُ النَّاسَ خَيرٌ من كَونِهِ يَقبَعُ في بَيتِهِ ولا يَنفَعُ النَّاسَ بعِلمِهِ، أو يَقعُدُ في بَيتِهِ ولا يَنفَعُ النَّاسَ بمالِهِ.

لكِنْ إذا دارَ الأمْرُ بيْنَ أنْ يُلمِّعَ نَفْسَهُ ويُظهِرَ نَفْسَهُ ويُبيِّنَ نَفْسَهُ، وبيْنَ أنْ يُخفِيَها، فحينئذٍ يختارُ الخَفاءَ، أمَّا إذا كان لا بُدَّ من إظهارِ نَفْسِهِ فلا بُدَّ أنْ يُظهِرَها، هذا ممَّن يُحِبُّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وفيه الحثُّ على أنَّ الإنسانَ يكونُ خَفيًّا، يكونُ غَنيًّا عن غَيرِهِ عن غَيرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، يكونُ تَقيًّا لِرَبِّهِ سُبْحانَهُوَتَعالَى حتى يَعبُدَ اللهِ سُبْحانَهُوَتَعالَى في خَيرٍ وعافِيَةٍ.

الفرق بين الكِبْر والإعجاب

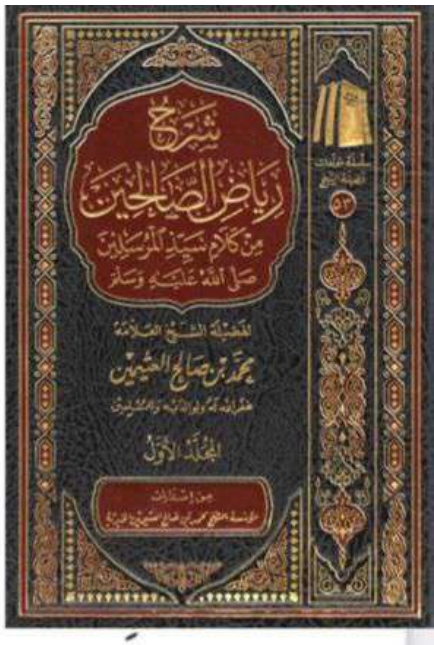

٢/ ٧٦٧

والكِبْرُ: هو التَّرفُّعُ واعتِقادُ الإنسانِ نَفْسَهُ أنَّه كَبيرٌ، وأنَّه فَوقَ النَّاسِ، وأنَّ له فَضْلًا عليهم.

والإعْجابُ: أنْ يَرى الإنسانُ عَمَلَ نَفْسِهِ فيُعجَبُ به، ويَستَعظِمُهُ، يَستكثِرُهُ.

فالإعْجابُ يَكونُ في العَمَلِ، والكِبْرُ يَكونُ في النَّفْسِ، وكِلاهُما خُلُقٌ مَذْمومٌ الكِبْرُ والإعْجابُ.

والكِبْرُ نَوْعانِ: كِبْرٌ على الحَقِّ، وكِبْرٌ على الخَلْقِ، وقد بيَّنَهما النَّبيُّ ﷺ في قَولِهِ: «الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[1] فبَطَرُ الحَقِّ يَعْني: رَدَّهُ والإعْراضَ عنه، وعَدَمَ قَبولِهِ، وغَمْطُ النَّاسِ يَعْني: احتِقارَهُم وازْدِراءَهُم، وألَّا يَرى النَّاسَ شيئًا، ويَرَى أنَّه فَوقَهم.

فأنتَ إذا رَأَيتَ النَّاسَ على أيِّ وَجهٍ؛ فالنَّاسُ يَرَونَكَ بمِثلِ ما تَراهُمْ به، إنْ رَأَيتَهُم في محلِّ الإكْرامِ والإجْلالِ والتَّعظيمِ، ونَزَّلتَهُم مَنزِلَتَهم عَرَفوا لك ذَلِكَ، ورَأَوْكَ في محلِّ الإجْلالِ والإكْرامِ والتَّعْظيمِ، ونَزَّلوكَ مَنزِلَتَكَ، والعَكْسُ بالعَكْسِ.

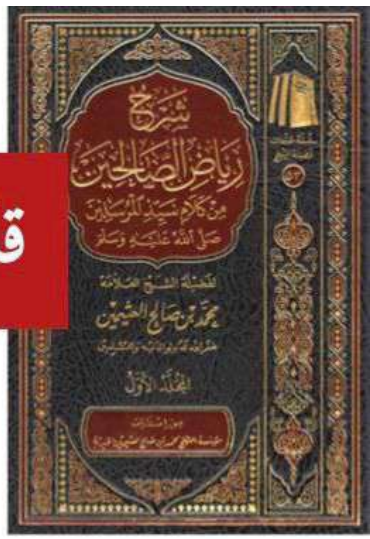

قال رجل للنبي ﷺ: أَوْصِنِي! قَالَ : "لَا تَغْضَبْ"

٢/ ٨٢٠

أمَّا حَديثُ أبي هُرَيرَةَ؛ فهو أنَّ رَجُلًا قال: يا رَسُولَ اللهِ، أوْصِني، قالَ: «لَا تَغْضَبْ» والمَعْنى لا تكُنْ سَريعَ الغَضَبِ يَستثيرُكَ كُلُّ شَيءٍ؛ بل كُنْ مُطمَئِنًّا مُتأنِّيًا؛ لأنَّ الغَضَبَ جَمْرةٌ يُلْقيها الشَّيْطانُ في قَلبِ الإنسانِ حتى يَغلِيَ القَلبُ؛ ولهذا تَنتَفِخُ الأوْداجُ؛ عُروقُ الدَّمِ، وتَحمَرُّ العَينُ، ثُمَّ يَنفَعِلُ الإنسانُ حتى يَفعَلَ شَيئًا يَندَمُ عليه.

وإنَّما أوْصى النَّبيُّ ﷺ هذا الرَّجُلَ ألَّا يَغضَبَ دُونَ أنْ يُوصِيَهُ بتَقْوى اللهِ أو بالصَّلاةِ أو بالصِّيامِ أو ما أشبَهَ ذلك؛ لأنَّ حالَ هذا الرَّجُلِ تَقتَضي ذلك:

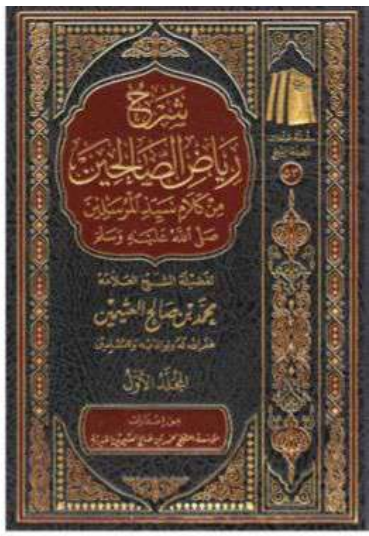

معنى قوله ﷺ:

"مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ"

٢/ ٨٢٠

ذكَرَ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَديثًا فيه الأمْرُ بالرِّفْقِ والحَثُّ عليه، حيثُ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ» يَعْني أنَّ الإنسانَ إذا حُرِمَ الرِّفقَ في الأُمورِ فيما يَتصرَّفُ فيه لنَفسِهِ، وفيما يَتصرَّفُ فيه معَ غَيرِهِ، فإنَّه يُحرَمُ الخَيرَ كُلَّه، أي: فيما تَصرَّفَ فيه، فإذا تَصرَّفَ الإنسانُ بالعُنفِ والشِّدَّةِ، فإنَّه يُحرَمُ الخَيرَ فيما يَفعَلُ.

وهذا شَيءٌ مُجرَّبٌ ومُشاهَدٌ أنَّ الإنسانَ إذا صارَ يَتعامَلُ بالعُنفِ والشِّدَّةِ؛ فإنَّه يُحرَمُ الخَيرَ ولا يَنالُ الخَيرَ، وإذا كان يَتعامَلُ بالرِّفقِ والحِلْمِ والأَناةِ وسَعةِ الصَّدرِ؛ حَصَلَ على خَيرٍ كَثيرٍ، وعلى هذا فيَنبَغي للإنسانِ الذي يُريدُ الخَيرَ أنْ يَكونَ دائِمًا رفيقًا حتى ينالَ الخَيرَ.

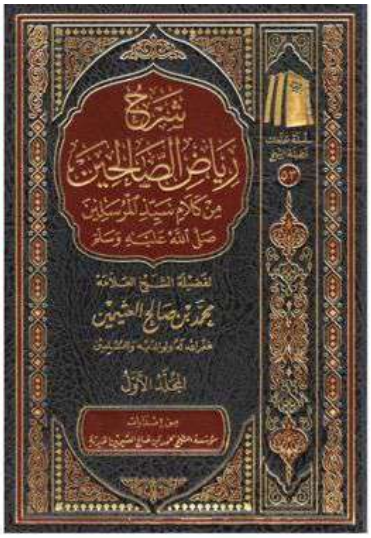

معنى قوله ﷺ:

"وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ..."

٢/ ٧٩٤

أمَّا حَديثُ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ»، وقد تقدَّمَ شَرحُ هذه الجُمْلةِ، وبيَّنا أنَّ حُسنَ الخُلُقِ يَحصُلُ فيه الخَيرُ الكَثيرُ؛ لأنَّ البِرَّ هو الخَيرُ الكَثيرُ.

وأمَّا الإثمُ فقال هو: «مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» يَعْني بما حاك في النَّفسِ، يَعْني لم تَطمَئِنَّ إليه النَّفسُ، بل تَرَدَّدَتْ فيه، وكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ.

ولكِنَّ هذا خِطابٌ للمُؤمِنِ، أمَّا الفاسِقُ فإنَّ الإثمَ لا يَحيكُ في صَدْرِهِ، ولا يُهِمُّه أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ؛ بل يُجاهِرُ به ولا يُبالي، لكِنَّ المُؤمِنَ لِكَونِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أعْطاهُ نورًا في قَلبِهِ، إذا همَّ بالإثمِ حاكَ في صَدرِهِ، وتَرَدَّدَ فيه، وكَرِهَ أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ، فهذا المِيزانُ إنَّما هو في حَقِّ المُؤْمِنينَ.

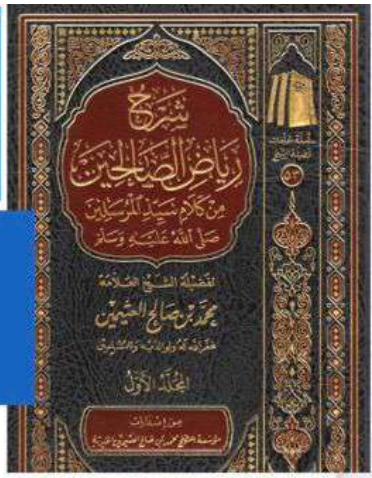

من صفات المتقين:

﴿وَالكاظِمينَ الغَيظَ وَالعافينَ عَنِ النّاسِ﴾

٢/ ٧٨٨

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ يَعْني الذين يَكظِمونَ غَضَبَهم، إذا غَضِبَ، مَلَكَ نَفْسَهُ وكَظَمَ غَيْظَهُ، ولم يَتعدَّ على أحَدٍ بمُوجِبِ هذا الغَضَبِ.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا أساؤُوا إليهم، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فإنَّ هذا من الإحْسانِ أنْ تَعفُوَ عمَّن ظَلَمَك، ولكِنَّ العَفوَ له محلٌّ؛ إنْ كان المعتدي أهْلًا للعَفوِ فالعَفوُ مَحْمودٌ، وإنْ لم يكُنْ أهْلًا للعَفوِ؛ فإنَّ العَفوَ ليس بمَحْمودٍ؛ لأنَّ اللهَ تَعالى قالَ في كتابِهِ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

فلو أنَّ رَجُلًا اعْتَدَى عليك بضَرْبِكَ، أو أخْذِ مالِكَ، أو إهانَتِكَ، أو ما أشبَهَ ذلك، فهل الأفضَلُ أنْ تَعفُوَ عنه أمْ لا؟

نقولُ في هذا تَفْصيلٌ: إنْ كان الرَّجُلُ شِرِّيرًا، سَيِّئًا، إذا عَفَوتَ عنه ازدادَ في الاعتِداءِ عليك وعلى غَيرِكَ، فلا تَعْفُ عنه، خُذْ حقَّكَ منه بيَدِكَ، إلَّا أنْ تكونَ تحتَ وِلايةِ شَرعيَّةٍ فتَرفَعَ الأمْرَ إلى مَن له الوِلايةُ الشَّرعيَّةُ، وإلَّا فتَأخُذُهُ بيَدِكَ ما لم يَترتَّبْ على ذلك ضَررٌ أكبَرُ.

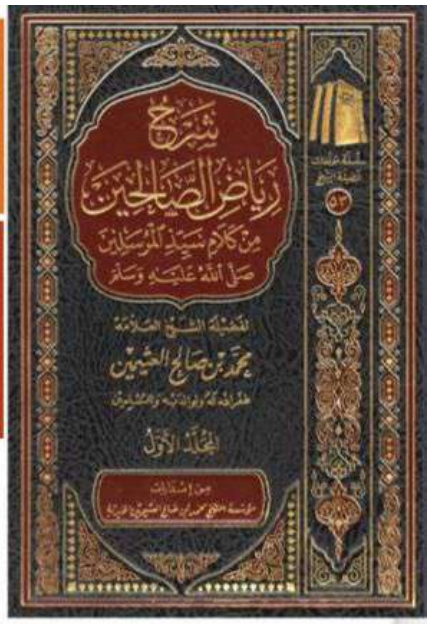

من صفات أهل النار

"كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ"

٣/ ٧٧٧

ثُمَّ ذكَرَ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ»، وهذا من الأُسلوبِ الذي كان النَّبيُّ ﷺ يَستَعمِلُهُ، أنْ يُورِدَ الكَلامَ على صِيغةِ الاستِفْهامِ، من أجْلِ أنْ يَنتبِهَ المُخاطَبُ ويَعِيَ ما يقولُ: فهو يقولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ»، الكُلُّ سيقولُ: نَعَمْ أَخْبِرْنا يا رَسُولَ اللهِ. قال: «كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ».

العُتُلُّ: مَعْناها الشَّديدُ الغَليظُ، ومنه العَتَلةُ التي تُحفَرُ بها الأرضُ، فإنَّها شَديدةٌ غَليظةٌ، فالعُتُلُّ هو الشَّديدُ الغَليظُ -والعِياذُ باللهِ-.

الجَوَّاظُ: يَعْني أنَّه فيه زيادةٌ من سُوءِ الأَخْلاقِ.

والمُسْتكبِرُ -وهذا هو الشَّاهِدُ-: هو الذي عِندَهُ كِبْرٌ -والعِياذُ باللهِ- وغَطْرَسةٌ، وكِبْرٌ على الحَقِّ، وكِبْرٌ على الخَلْقِ، فهو لا يَلينُ للحَقِّ أبدًا، ولا يَرحَمُ الخَلْقَ -والعِياذُ باللهِ-.

هؤلاءِ هُم أهْلُ النَّارِ، أمَّا أهْلُ الجَنَّةِ فهُمُ الضُّعَفاءُ المَساكينُ الذين ليس عِندَهُم ما يَستكبِرونَ به؛ بل هُمْ دائمًا مُتواضِعونَ ليس عِندَهم كِبْرياءُ ولا غِلْظةٌ؛ لأنَّ المالَ أحيانًا يُفسِدُ صاحِبَهُ، ويَحمِلُهُ على أنْ يَستكبِرَ على الخَلْقِ ويَرُدَّ الحَقَّ، كما قال تَعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧].

الأئمة في إمامة الصلاة ثلاثة أقسام

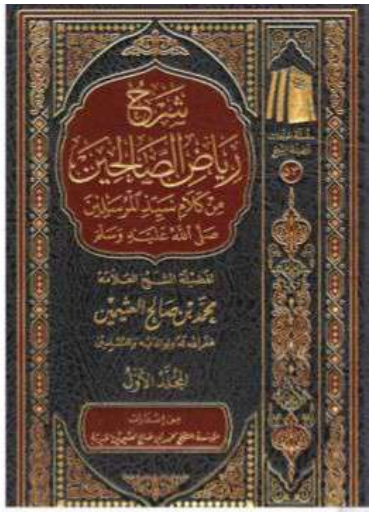

٢/ ٨٤٤

قِسمٌ مُفرِّطٌ، يُسرِعُ سُرعةً تَمنَعُ المَأْمومينَ فِعلَ ما يُسَنُّ، وهذا مُخطِئٌ، وآثِمٌ، ولم يُؤَدِّ الأمانةَ التي عليه.

وقِسمٌ مُفْرِطٌ، أي: زائِدٌ، يُثقِلُ بالنَّاسِ وكأنَّه يُصلِّي لِنَفسِهِ، فتَجِدُهُ يُثقِلُ القِراءةَ، والرُّكوعَ، والسُّجودَ، والقيامَ بعدَ الرُّكوعِ، والجُلوسَ بيْنَ السَّجْدتَينِ، وهذا أيضًا مُخطِئٌ، ظالِمٌ لِنَفسِهِ.

والثَّالِثُ: يُصلِّي بهم كصَلاةِ النَّبيِّ ﷺ، فهذا خَيرُ الأقْسامِ، وهو الذي قامَ بالأمانةِ على الوَجْهِ الأكمَلِ، واللهُ المُوفِّقُ.

" كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا"

٣/ ٣٢

وكانَ النَّبيُّ ﷺ أشَدَّ حَياءً منَ العَذْراءِ في خِدْرِها[٢].

العَذْراءُ: المَرْأةُ التي لم تَتَزَوَّجْ، وعادَتُها أنْ تكونَ حَيِيَّةً، فالرَّسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أشدُّ حياءً منَ العَذْراءِ في خِدْرِها، ولكِنَّه لا يَسْتَحي مِنَ الحَقِّ، يَتكلَّمُ بالحَقِّ ويَصْدَعُ به، ولا يُبالي بأحَدٍ.

أمَّا ما لا تَضيعُ به الحُقوقُ، فإنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ أَشَدَّ النَّاسِ حَياءً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فعَلَيْكَ يا أخي باستِعمالِ الحَياءِ والأَدَبِ والتَّخلُّقِ بالأخلاقِ الطَّيِّبةِ التي تُمْدَحُ عليها بينَ النَّاسِ، واللهُ المُوفِّقُ.

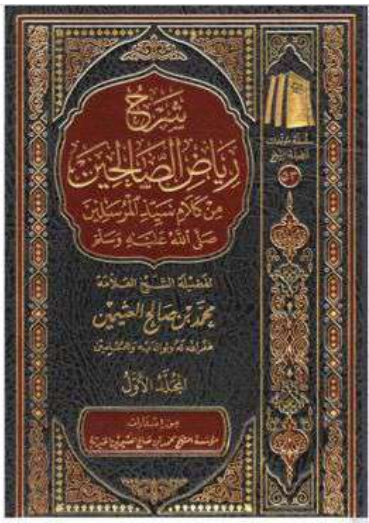

قال ﷺ: "الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"

٣/ ٢٦

«وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»؛ الحَياءُ: انْكِسارٌ يَكونُ في القَلْبِ، وخَجَلٌ لِفِعْلِ ما لا يَهْتَمُّ به النَّاسُ، أو ما لا يَسْتحْسِنُه النَّاسُ، الحَياءُ منَ اللهِ، والحَياءُ منَ الخَلْقِ منَ الإيمانِ.

الحَياءُ منَ اللهِ يُوجِبُ للعَبْدِ أنْ يَقومَ بطاعَةِ اللهِ، وأنْ يَنْتهيَ عمَّا نَهى اللهُ، والحَياءُ منَ النَّاسِ يوجِبُ للعَبْدِ أنْ يَسْتعمِلَ المُروءةَ، وأنْ يَفْعَلَ ما يُجَمِّلُه ويُزيِّنُه عندَ النَّاسِ، ويَتجنَّبَ ما يُدنِّسُه ويَشينُه، فالحَياءُ منَ الإيمانِ.

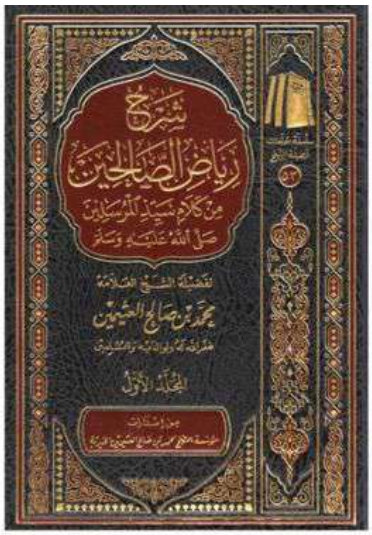

من صور وضع الأذى على الطريق

٣/ ٢٧

تَجدُ بعْضَ النَّاسِ الآنَ يوقِفُ السَّيارةَ في أيِّ مكانٍ بالطُّولِ، أو بالعَرْضِ دونَ اهْتمامٍ، سَواءٌ كانَ المَكانُ ضَيِّقًا، أو واسِعًا، وليست هذه خِصالَ المُؤْمنِ، بلْ إنَّ المؤمِنَ هو الذي يَكونُ حَيَّ القَلْبِ، يَشْعُرُ بشُعورِ النَّاسِ، يُحِبُّ للنَّاسِ ما يُحبُّ لنَفْسِه، كيْفَ تَأْتي مَثلًا وتوقِفُ سَيَّارتَكَ في عُرْضِ الطَّريقِ، ولا تُبالي أَضَيَّقْتَ الطَّريقَ على النَّاسِ أمْ لم تُضَيِّقْه؟!

أحْيانًا يَسُدُّونَ الطَّريقَ، يَقِفونَ عنْدَ أبْوابِ المَساجِدِ، ويَكونُ الطَّريقُ ضَيِّقًا، فإذا خَرَجَ النَّاسُ يومَ الجُمُعةِ ضَيَّقوا عليهم، هذا خَطأٌ كَبيرٌ، فإماطةُ الأَذى عنِ الطَّريقِ صَدَقةٌ.

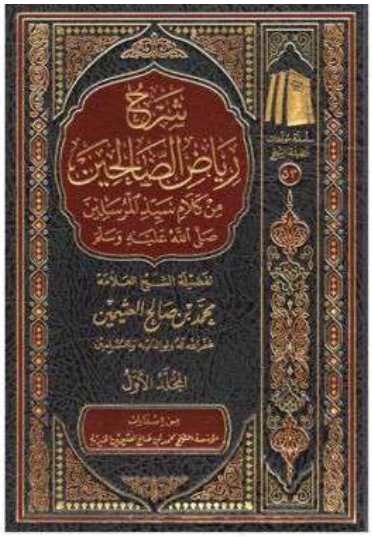

هدي النبي ﷺ في الاستئذان

٣/ ٥٦

وَكذلك في الاِسْتِئذانِ، كانَ ﷺ يَسْتأذِنُ ثَلاثًا، يَعني إذا جاءَ للإنْسانِ يَسْتأذِنُ في الدُّخولِ على بَيْتِه، يَدُقُّ عليه البابَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فإذا لمْ يُجَبِ انْصرَفَ، فهذه سُنَّتُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنْ يُكرِّرَ الأُمورَ ثَلاثًا ثُم يَنْتَهي.

وهل مِثْلُ ذلك إذا دَقَّ جَرَسُ الهاتِفِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؟ يُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ من هذا البابِ، وأنَّكَ إذا اتَّصلْتَ بإنْسانٍ ودَقَّ الجَرَسُ ثلاثَ مرَّاتٍ، وأنْتَ تَسْمَعُه، ولم يُجِبْكَ، فأنْتَ في حِلٍّ إذا وَضَعْتَ سَمَّاعةَ الهاتِفِ.

ويُحْتَمَلُ أنْ يُقالَ: إنَّ الهاتِفَ له حُكْمٌ آخرُ، وأنَّكَ تَبْقى حتى تَيْأسَ مِن أهْلِ البَيْتِ؛ لأنَّهم ربَّما لا يَكونونَ حَوْلَ الهاتِفِ عندَ اتِّصالِكَ، فرُبَّما يَكونونَ في طَرَفِ المَكانِ، ويَحْتاجونَ إلى خُطُواتٍ كَثيرةٍ حتى يَصِلوا إلى الهاتفِ، و[illegible]

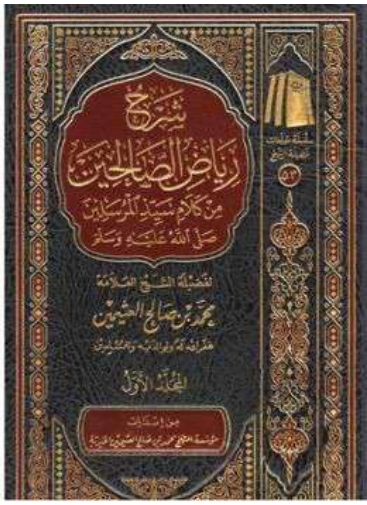

هدي النبي ﷺ في كلامه وسلامه

٣/ ٥٦

[redacted] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا تَكلَّمَ بالكَلِمَةِ أعادَها ثَلاثًا حتَّى تُفهَمَ عَنْهُ.

فقَوْلُه ﷺ: «**حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ**» يدُلُّ على أنَّها إذا فُهِمَتْ بِدونِ تَكْرارٍ؛ فإنَّه لا يُكرِّرُها، وهذا هو الواقِعُ، فإنَّ الرَّسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَسْمَعُ عنه أحاديثَ كَثيرةً يَقولُها في خُطَبِهِ، وفِي المُجْتَمَعاتِ، ولا يُكرِّرُ ذلك.

لكنْ إذا لمْ يَفْهَمِ الإنْسانُ؛ بأنْ كانَ لا يَعْرِفُ المَعْنى جَيِّدًا فتُكَرِّرُ عليه حتى يَفْهَمَ، أو كانَ سَمْعُه ثَقيلًا لا يَسْمَعُ، أو كانَ هناك ضَجَّةٌ حوْلَكُم فلا يَسْمَعُ، فهنا يُسْتَحَبُّ أنْ تُكرِّرَ حتَّى يَفْهَمَ عَنْكَ.

وكانَ ﷺ إذا سَلَّمَ على قَوْمٍ «**سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا**» يَعْني أنَّه لا يُكَرِّرُ أكْثَرَ من ثَلاثٍ؛ يُسلِّمُ مرَّةً، فإذا لمْ يُجَبْ، سَلَّمَ الثَّانيةَ، فإذا لم يُجَبْ سلَّمَ الثَّالثَةَ، فإذا لَمْ يُجَبْ تَرَكَه.

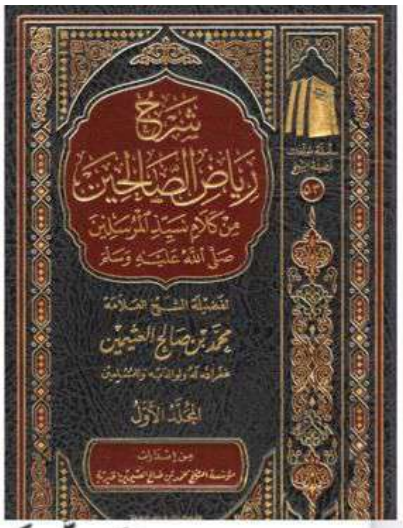

طلاقة الوجه والكلمة الطيبة ومثالها

٣/ ٥٣

ثمَّ إنَّ طَلاقةَ الوَجْهِ توجِبُ سُرورَ صاحِبِكَ؛ لأنَّه يُفرَّقُ بيْنَ شخصٍ يَلْقاكَ بوجْهٍ مُعْبِسٍ وشَخْصٍ يَلْقاكَ بوجْهٍ مُنْطلِقٍ، ولهذا قالَ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي ذَرٍّ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»، فهذا مِنَ المَعْروفِ؛ لأنَّه يُدخِلُ السُّرورَ على أخيهِ، ويَشْرحُ صَدْرَه.

ثمَّ إذا قارَنَ ذلك بالكَلمةِ الطَّيِّبةِ صارَ بذلك مَصْلَحَتانِ: طَلاقَةُ الوجْهِ، والكَلمةُ الطَّيِّبةُ التي قالَ عنها النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» يَعني اجْعَلوا بينكم وبيْنَ النَّارِ وِقايَةً «**وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»؛ بالصَّدقةِ، يَعني لوْ أنْ تَصدَّقوا بنِصفِ تَمْرةٍ، فإنَّ ذلك يَقيكُم منَ النَّارِ إذا قَبِلَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

«**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»؛ كلِمَةٌ طَيِّبَةٌ مثلُ أنْ تَقولَ له: كيْفَ أنْتَ؟ كيفَ حالُكَ؟ كيفَ إخْوانُكَ؟ كيفَ أهْلُكَ؟ وما أشْبَهَ ذلك؛ لأنَّ هذه منَ الكَلماتِ الطَّيِّبةِ التي تُدخِلُ السُّرورَ على صاحِبِكَ، كلُّ كلمةٍ طَيِّبةٍ فهي صَدَقةٌ لكَ عندَ اللهِ، وأجْرٌ وثَوابٌ، وقدْ قالَ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ**»[1]، وقالَ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[2]، واللهُ المُوفِّقُ.

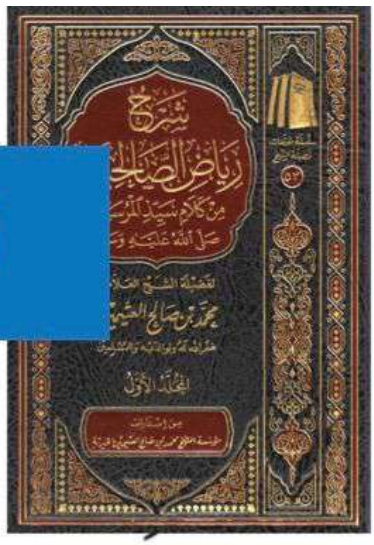

السنة أن يكون كلامك واضحًا يفهمه المخاطب

٣/ ٥٥

يَعْني أنَّه يَنْبـغي للإنْسانِ إذا تَكلَّمَ وخاطَبَ النَّاسَ أنْ يُكلِّمَـهم بكَلامٍ بَيِّنٍ، لا يَسْتعجِلُ في إلْقاءِ الكَلماتِ، ولا يُدْغِمُ شَيْئًا؛ بلْ يَكونُ كَلامُه فَصْلًا بَيِّنًا واضِحًا؛ حتى يَفْهَمَ المُخاطَبُ بدونِ مَشقَّةٍ وبدونِ كُلْفةٍ.

بعضُ النَّاسِ تَجِدُه يُسْرِعُ في الكَلامِ ويُغَمْغِمُ في الكَلامِ حتى إنَّ الإنْسانَ يَحْتاجُ إلى أنْ يقولَ: ماذا تَقولُ؟ هذا خِلافُ السُّنَّةِ، فالسُّنَّةُ أنْ يَكونَ الكَلامُ بيِّنًا واضحًا يَفْهَمُه المُخاطَبُ، وليس منَ الواجِبِ أنْ يَكونَ باللُّغةِ الفُصحى؛ بلْ ولا مِنَ المُسْتحَبِّ إذا كانَ النَّاسُ يَنْتقِدونَ ذلك ويَرَوْنَ أنَّ ذلك تَنَطُّعٌ.

إنَّما تُخاطِبُ النَّاسَ بلِسانِهم، ولْيَكُنْ كَلامُك بَيِّنًا واضِحًا، كما في حَديثِ أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا تَكلَّمَ بالكَلِمَةِ أعادَها ثَلاثًا حتَّى تُفهَمَ عَنْهُ.

إذا فتح الله عليك بالعلم فلا تنشغل عنه بشيء

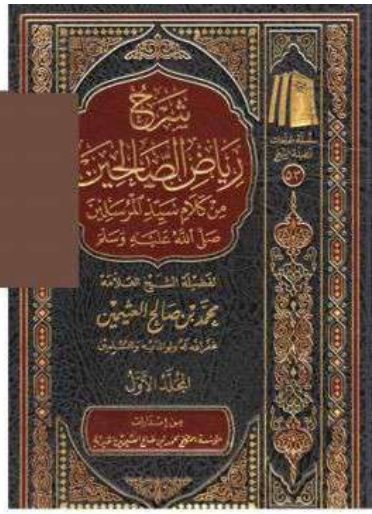

٣/ ٥٠

ومِن ذلك وهو أهَمُّ وأعْظمُ أنْ يَبْدأَ الإنْسانُ بطَلَبِ العِلْمِ الشَّرعيِّ، ثم إذا فتَحَ اللهُ عليه بها فتَحَ، تَركَه، فإنَّ هذا كُفرُ نِعْمةٍ أنْعَمَها اللهُ عليه، فإذا بدأْتَ بطَلَبِ العِلمِ فاسْتمِرَّ إلَّا أنْ يَشْغَلَكَ عنه شَيءٌ على وجْهِ الضَّرورةِ، وإلَّا فدَاوِمْ؛ لأنَّ طلبَ العلْمِ فرضُ كِفايةٍ، وكلُّ مَن طَلَبَ العِلْمَ فإنَّ اللهَ تعالى يُثيبُه على طلَبِه ثوابَ الفَرْضِ، وثَوابُ الفَرْضِ أعْظَمُ من ثَوابِ النَّافلةِ، كما جاءَ في الحَديثِ الصَّحيحِ أنَّ اللهَ تعالَى قالَ: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»[1].

فَطلَبُ العِلْمِ فرْضُ كِفايةٍ إذا قامَ به الإنْسانُ قامَ بفَرْضٍ عن عُمومِ الأُمَّةِ، وقدْ يَكونُ فرْضَ عيْنٍ فيما إذا احْتاجَ الإنْسانُ إليه في نفْسِه، كمَن أرادَ أنْ يُصلِّيَ، فلا بُدَّ أنْ يَتعلَّمَ أحْكامَ الصَّلاةِ، ومَن كانَ عندَه مالٌ فلا بُدَّ أنْ يَتعلَّمَ أحْكامَ الزَّكاةِ، والبائعُ والمُشْتري لا بُدَّ أنْ يتعلَّما أحْكامَ البَيْعِ والشِّراءِ، ومَن أرادَ أنْ يَحُجَّ فلا بُدَّ أنْ يَتعلَّمَ أحْكامَ الحجِّ؛ هذا فرْضُ عيْنٍ.

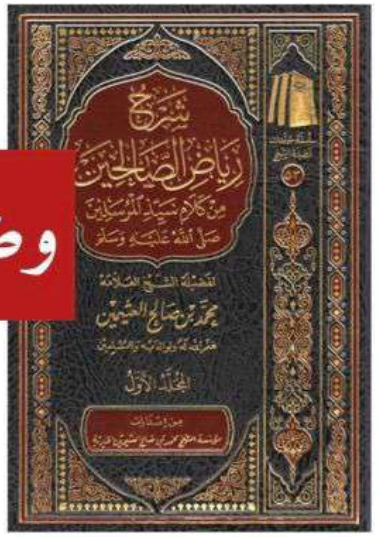

وضع الأذى في طريق الناس من نقص الإيمان

٣/ ٢٧

في هذا الحَديثِ: حَثٌّ على إماطَةِ الأَذى عنِ الطَّريقِ؛ لأنَّه إذا كانَ مِنَ الإيمانِ فافْعَلْه؛ يَزْدَدْ إيمانُكَ، ويَكْمُلْ إيمانُكَ، فإذا وجَدْتَ أذًى في الطَّريقِ؛ حَجرًا، أو زُجاجًا، أو شَوْكًا، أو غيْرَ ذلك، فأَزِلْه؛ فإنَّ ذلك مِنَ الإيمانِ، حتَّى السَّيَّارةُ إذا جَعَلْتَها في وسَطِ الطَّريقِ وضَيَّقْتَ على النَّاسِ، فقدْ وَضَعْتَ الأذى في طُرُقِ النَّاسِ، وإزالةُ ذلك منَ الإيمانِ، وإذا كانَ إماطةُ الأَذى عنِ الطَّريقِ مِنَ الإيمانِ، فوَضْعُ الأَذى في الطَّريقِ مِنَ الخُسْرانِ -وَالعِياذُ باللهِ- ومِن نَقْصِ الإيمانِ؛ وَلذلك يَجبُ أنْ يَكونَ الإنْسانُ حَيَّ القَلْبِ، يَشعُرُ بشُعورِ النَّاسِ.

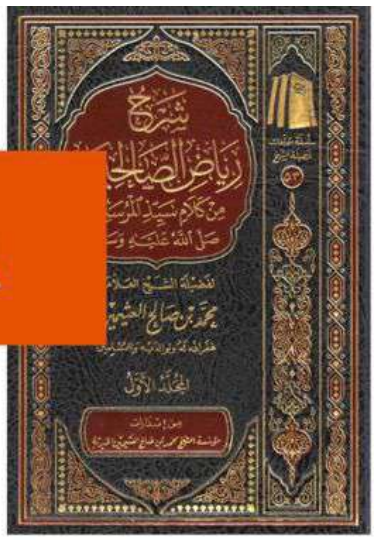

إذا أنعم الله عليك بعبادة فاستمر ولا تتقاعس

٣/ ٥١

فالحاصِلُ: أنَّه يَنْبغي للمُسْلمِ إذا مَنَّ اللهُ عليه بعمَلٍ ممَّا يُتعبَّدُ به اللهُ من عباداتٍ خاصَّةٍ كالصَّلاةِ، أو عِباداتٍ مُتعدِّيةٍ للغَيْرِ كطَلَبِ العِلْمِ ألَّا يَتقاعَسَ، وألَّا يتأخَّرَ، بل يَسْتمرُّ؛ فإنَّ ذلك مِن هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ، ومِن إرْشادِه بقَوْلِه: «يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»، واللهُ المُوفِّقُ.

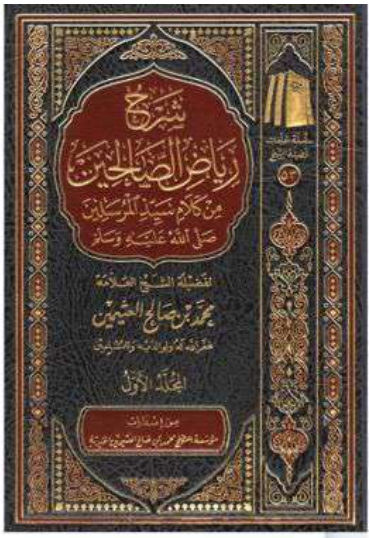

إتيان الكاهن على ثلاث حالات

٣/ ٧٢

ثمَّ اعلَمْ أنَّ الكاهِنَ هو الذي يُخْبِرُ عنِ المُغيَّباتِ في المُسْتقبَلِ، وإذا أَتاه الإنْسانُ فله ثَلاثُ حالاتٍ:

الحالُ الأولى: أنْ يأتِيَه يَسْأَلُه، ولا يُصدِّقُه، فهذا ثَبَتَ في «صَحيحِ مُسلِمٍ» أنَّه لا تُقْبَلُ له صَلاةٌ أَرْبعينَ يَوْمًا[1].

الحالُ الثَّانيةُ: أنْ يَأْتيَه يَسْأَلُه ويُصدِّقُه، فهذا كافِرٌ؛ لقَولِه ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[2]، ووَجْهُ كُفْرِه أنَّ تَصْديقَه إيَّاه يَتَضمَّنُ تَكْذيبَ قوْلِ اللهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، لأنَّ الكاهِنَ يُخْبِرُ عنِ الغَيْبِ في المُسْتقبَلِ، فإذا صَدَّقْتَه فمَضْمونُه: أنَّه تَكْذيبٌ لهذه الآيَةِ، فيَكونُ كُفْرًا، ولهذا جاءَ في الحَديثِ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ -يَعْنِي فَسَأَلَهُ فَصَدَّقَهُ- بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**».

الحالُ الثَّالثَةُ: أنْ يَسْأَلَ الكاهِنَ ليُكَذِّبَه، وإنَّما يَسْأَلُه اخْتبارًا، فَهذا لا بَأْسَ بِه، وقدْ سألَ النَّبيُّ ﷺ ابْنَ صَيَّادٍ عمَّا أضْمَرَ له، فقالَ: الدُّخُّ، يَعني الدُّخَانَ، فقال له النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**»[3].